



**FAMILY  
BOOKSHOP  
GROUP**



كار  
مكتبة  
العائلة

جانب مطرانية الشريان الارثوذكس ص ب ٢٥٩٢ هـ ٦٤٥٨٢٨ حي السليمانية - حلب - سورية

ܘܢܘܩܘܢ ܘܢܘܩܘܢ

ܘܢܘܩܘܢ ܘܢܘܩܘܢ ܘܢܘܩܘܢ ܘܢܘܩܘܢ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܘܢܘܩܘܢ ܘܢܘܩܘܢ ܘܢܘܩܘܢ ܘܢܘܩܘܢ  
ܘܢܘܩܘܢ ܘܢܘܩܘܢ ܘܢܘܩܘܢ ܘܢܘܩܘܢ  
ܘܢܘܩܘܢ ܘܢܘܩܘܢ ܘܢܘܩܘܢ ܘܢܘܩܘܢ  
ܘܢܘܩܘܢ ܘܢܘܩܘܢ ܘܢܘܩܘܢ ܘܢܘܩܘܢ  
ܘܢܘܩܘܢ ܘܢܘܩܘܢ ܘܢܘܩܘܢ ܘܢܘܩܘܢ

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

## المراكز السريانية الثقافية

الدكتور يوسف صبي

عضو المجمع العلمي العراقي  
رئيس تحرير مجلة بين النهرين

تقديم :

نحاول في هذا البحث رصد أهم المراكز الثقافية التي كانت السريانية فيها لغة المعرفة والعلوم والدراسة ، وسنرى ان الرقعة البلدانية المشمولة في بحثنا تمتد من شرقي انطاكية حتى الرها ( اورفه ) ونصيبين وحران ومرو والاحواز والخليج ، لكي تحتضن جزءا كبيرا من الوطن العربي المشرقي ، وبعض أجزاء بلاد تركيا وفارس . اما الزمن الذي عليه مدار بحثنا هذا ، فالقرون الاولى من الميلاد ، مع اضطرارنا الى القاء نظرة تسبق ذلك ، لاعطاء خلفية وركيزة ، فتحدث عن الارامية وانتشارها في عصور ما قبل الميلاد، وبهذا يتم استيعاب السريانية ودورها ، لان السريانية وريثة الارامية الشرعية ودور السريانية الثقافي في خدمة الحضارة والتاريخ امتداد طبيعي لاسهام شعوب ولغات المنطقة في تكوين التراث الحضاري المشرقي العظيم .

لن يتم استيعاب هذه الصفحات الا اذا اكملنا الموضوع بمطالعة (اصالة السريانية) و ( النلسفة السريانية ) وبحوثا اخرى في الموضوع (١) .

---

(١) للمؤلف : اصالة السريانية ومساهمتها في البناء الحضاري ، مجلة المجمع العلمي العراقي / الهيئة السريانية ، المجلد ٧ ( ١٩٨٣ ) ، ص ٣ - ٣٢ ؛ الفلسفة السريانية ، مجلة المجمع العلمي العراقي / الهيئة السريانية ، المجلد ٨ (١٩٨٤) ، ص ٣ - ٤٧ ؛ ملامح خليجية ثقافية ، مجلة بين النهرين ، السنة ١٢ (١٩٨٤) ، العددان ٤٥ - ٤٦ ، ص ٢٧ - ٤٤ .

نقسم هذا البحث الى ثلاثة اقسام :

- ١- السريانية وريثة الارامية والحضارات القديمة .
- ٢- السريانية لغة معاهد وثقافة .
- ٣- أهم المراكز السريانية الثقافية في القرون الاولى للميلاد .

### اولا - السريانية وريثة الارامية والحضارات القديمة

عرض القضية :

القضية المعروضة هنا تتشابك فيها جملة مشاكل ، لذا اقتضى توضيحها قبل الولوج في صلب الموضوع .

أول هذه المشاكل : خلط العديد من الباحثين بين الارامية والسريانية .  
وثانيها : خلط الكثيرين ايضا بين الاراميين والسريان لغة وحضارة ،  
وبين الاراميين والسريان جنسا وشعبا . وقد أوضحنا شيئا من ذلك في بحثنا  
( أصالة السريانية ) الذي ألمحنا اليه .

وثالثها : عزل بعضهم الارامية والاراميين ، والسريانية والناطقين بها عن  
لغات المنطقة وشعوبها ، قديمها وحديثها .

هذه وغيرها من أخطاء شائعة في أوساطنا وفي بطون الكتب ، تضطرننا  
الى تبيان عدم علميتها من جهة، والكشف عن حقائق الامور وواقعها التاريخي  
وايضاح الركائز التي عليها يقوم ما سنتعرض له في بحثنا الحالي بشأن المراكز  
الثقافية السريانية ودورها الفكري والعلمي في القرون الاولى للميلاد .

وقد لا ينتبه الجميع الى الاسباب التي تدفعنا الى تناول هذه المشاكل  
وأمثالها ، واضطرارنا الى تناولها جملة لا تفصيلا ، فنقول اننا مرغمون بها  
مكرهون على ذلك ، لانها مسائل متقاربة ، متداخلة ، متشابكة ، بل وشائكة

يستحيل عزل بعضها عن بعض ، لذا سنحاول ما امكن تمييزها عن بعضها زيادة  
في الايضاح .

### السريانية والارامية :

السريانية (٢) في عرف الباحثين ، لغة آرامية متطورة . ويقول البعض ،  
بشكل أقل دقة ، انها لهجة آرامية ، او انها أهم لهجة . ترقى أصولها الى  
الاكديّة والبابليّة والاشورية .

والآرامية (٣) فرع من الدوحة اللغوية التي سماها المستشرقون بالسامية

- (٢) بشأن الكتب التي تتناول السريانية ، تاريخيا وآدابيا ، انظر :  
( المطران ) اقليميس يوسف داود ، كتاب اللّمة الشّهيّة في نحو اللّغة  
السريانية ، ط ١ ، ١٨٧٩ ، ط ٢ ، ١٩٦٦ . الموصل ؛  
البطريك افرام برصوم ، اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب  
السريانية ، ط ١ ، حمص ١٩٤٣ ، ط ٢ ، حلب ١٩٥٦ ، ط ٣ ، بغداد  
١٩٧٦ ؛  
فولوس غبريال - كميل افرام البستاني ، الاداب السريانية واعلام  
السريان ، ج ١ ، بيروت ١٩٦٩ ؛  
الخورفسقفوس برصوم يوسف ايوب . اللّغة السريانية ، ط ٢ حلب  
١٩٧٣ ؛  
مراد كامل - محمد حمدي البكري - زاكية محمد رشدي ، تاريخ  
الادب السرياني ، القاهرة ١٩٧٤ ؛  
الاب البير ابونا ، ادب اللّغة الارامية ، بيروت ١٩٧٠ ؛  
الشحات السيد زغلول ، السريان وحضارة الاسلاميّة ، القاهرة  
١٩٧٥ ؛

A. Baumstark, Geschichte der syrischen Literatur, Bonn 1922 ;

I. Ortiz de Urbina, Patrologia Syriaca, Roma 1965, ed. altera.

(٣) بشأن الارامية نحيل الى مراجعة كتب نيندكه ، ولفنسون ، موسكاتي ،  
وكلها مترجمة الى العربية :

تيودور نولدكه ، اللغات السامية ، ترجمة رمضان عبدالتواب ، ط ٢ ،  
القاهرة ١٩٦٣ ؛

نسبة الى « الساميين » • فهي لغة سامية ، شمالية ، غربية ، وردت نصوصها الاولى منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وغدت لغة دولية عدة قرون ، واستمرت ذات شأن في القرون الثلاثة الاولى للميلاد ، حتى انحسرت امام تبلور بعض لهجاتها ، لاسيما السريانية ، وازاء تنامي اليونانية وانتشار العربية أخيرا •

اما السريانية فقد بدأت كلهجة رهاوية ، تبتها مملكة الرها ( اديسا ، اورفه ) لغة رسمية لها منذ بدايات القرن الثاني للميلاد ، على أقل تقدير ، وفت التطور والتمكن بفضل مدرسة الرها لاسيما في القرن الرابع ، وعرفت الرسمية والشمولية زدحا من الزمن ، بحيث شملت رقعة واسعة من البلاد المشرفية ، حتى انحسر ظلها حيال انتشار العربية ، فاقترنت على مجالات الدين وارسفة والعلوم والفنون مدة قرون ، وما تزال مكرسة لطقوس وكتابات القس الأكبر من كنائس الشرق الاوسط وساحل الملبار في الهند •

وليس من باب الخلط بين الاراميين والحضارة الارامية ، انما لظهار بعض الخصائص التي للارامية ، كما لتعرف على التشابك الحضاري الذي يجمع بين الارامية والسريانية ، نوجز هنا بعض الشيء ، فقد شمل النطاق الجغرافي للارامية والسريانية بلدان الشرق الادنى وقسما من آسيا الصغرى وشمالى الجزيرة العربية ، بينما اتسع اطرها التاريخي نحو ٢٦٠٠ سنة ، وذلك من القرن ١٢ ق م وحتى القرن ١٤ م ، بشكل اجمالي وتقريبي •

١. ولفنسون ، تاريخ اللغات السامية ، طبعة جديدة ، بيروت ١٩٨٠ ؛
- سبتينو موسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ، ترجمة يعقوب بكر ، القاهرة ١٩٥٧ ؛
- دبونت سومر ، الاراميون ، ترجمة الاب البر ابونا ، مجلة سومر ، المجلد ١٩ ، ١٩٦٣ ، بغداد ؛
- المطران غريغوريوس صليبيا شمعون ، الممالك الارامية ، حلب ١٩٨١ •

## ظهور الاراميين في التاريخ

لعل أول ذكر للاراميين في التاريخ كتابة مسمارية ترجع الى عهد الملك الاكدي نرام - سين ( ٢٢٦٠ - ٢٢٢٣ ق م ) ، ثم في نصوص مسمارية من القرن ١٤ ق م عثر عليها في جملة مواضع . ومعلوم ان ابراهيم الخليل آرامي ، وانه اتخذ رفقة زوجة لا سحق ابنه ، وهي حفيدة اخيه ناحور الارامي من حران .

موطن الاراميين الاصلي المنطقة الشمالية من جزيرة العرب ، وقد كانت منطقة خصبة في سالف الازمان . فالاراميون قبائل رحل اتشروا في البادية الواقعة غربي بلاد ما بين النهرين ، وتنقلوا بين نجد في الجنوب ، والشام في الشمال ، والفرات في الشرق ، وخليج العقبة في الغرب ، حتى ارغمتهم ظروف الصحراء على اللجوء الى الحضر والتحضر ، فزحفوا نحو الشمال ، والشمال الشرقي ، حتى بلاد الشام وراقع ما بين النهرين ، وبلغوا بلاد اكد ومصر . وللفظ « النهرين » أو « آرام النهرين » ذكر في نصوص مصرية من القرن ١٦ ق م . كما يرد لفظ « نهريما » في كتابات تل العمارنة ، واسم قبيلة « الاخلامو » الارامية مذكور في رسائل تل العمارنة من القرن ١٤ ق م .

وتمكن الاراميون من تأسيس دويلات أو ممالك صغيرة ، بل امارات ، وذلك اثر غزوات شنوها على الاموريين ( وعاصمتهم ماري أي تل الحريري ) والميتانيين ( وعاصمتهم تايدي التي دمرها ملك آشور ادد - نيراري سنة ١٣٠٠ ق م ، فقامت مكانها مملكة باخياني الارامية في وادي الخابور في القرن ١٤ ق م ) ، والحثيين ( وعاصمتهم كركميش أي جرابلس ، وقد أخضعهم الاشوريون في القرن ٩ ق م ) . وكون الاراميون أخيرا مملكة كلدو ، ما بين ابل والخليج ، وسوف تعرف فيما بعد بـ « بيت آرامي » ( وهي الابرشية

البطيركية لكنيسة المشرق) • ولا بد لنا من ذكر ممالك آرامية أخرى أهمها : دمشق أو الشام ، شمال ، حماه ، صبا ، بيت عديني في تل برسيب أو تل الاحمر ، غوزانا ، بيت زماني ، بيت اغوشي ، كركم ، سوحى ، آرام النهرين أي حران ، ودويلات صغيرة أخرى أهمها : رحوب ، ايشوع ، كمبونو ، فقودو ، وربما ميسيني ( ميسان ) وحدياب ( اربيل ) والنخ •

ومجمل القول ان الاراميين لم يظهروا كشعب له كيانه الخاص المتل بل القرن ١٥ ق م • أما سيادتهم ونشاطهم الحضاري فمنذ القرنين ١٢ - ١١ ق ، حين أنشأوا دويلات امتدت ما بين حلب وجبال طوروس ، وورقت حاجز امام توسع الاشوريين مدة من الزمن ، حتى اخضعهم الاشوريون بفضل فرتيم العسكرية ، فأخفق الاراميون في تكوين دولة موحدة لدويلاتهم المتفرقة ، بر كانوا يتطاحنون احيانا فيما بينهم ، حتى قضى عليهم الخرس الاخمينيون ( ٥٥٦ - ٣٣٢ ق م ) (٤) •

### حضارة الاراميين

نشط الاراميون في المجال التجاري ، فكانت أشهر مدنهم مراكز تجارية وثغورا مهمة في الشرق المتوسط ، كما امتازوا بالحركة العمرانية وثنية وشتى الواجه الحضارية الأخرى • لكنه يصعب ان نميز بدقة ما للاراميين من خصائص في هذه المجالات وما لغيرهم من اقوام وشعوب سكنوا المنطقة في الازمنة عينها ، أي منذ القرن ١٤ ق م وحتى القرن الثالث للميلاد • فتارة يعود الفضل للفينقيين والحثيين ، وأخرى للبابليين والكلدانيين والاشوريين ، وغيرها للفرثيين واليونان والرومان ، وغيرهم من الاقوام ، مع بقاء الفارق بين أهالي المنطقة الاصليين والدخلاء ، فهي منطقة من أشد المناطق تشبكا ،

(٤) راجع الهامش اعلاه ، ولاسيما : الاراميون ، والممالك الارامية .

وتنازعا ، واندماجا ، وعطاء ، في العصور الخوالي •

وهذا ما دفعنا الى التمييز بين الاراميين جنبا والاراميين لغة وحضارة ، كما جعلنا نؤكد على عدم عزل الاراميين والارامية عن شعوب ولغات المنطقة المتعددة الاصول والواجه والابعاد ، حتى يمكننا القول ان الارامية عمت البلاد التي أطلق عليها اسم منطقة الهلال الخصيب ، بل تجاوزتها الى مناطق ألمحنا اليها سابقا •

ولنا أن نلمح الى نقطتين مهمتين تفصحان عما نحن بشأنه هنا •

فقد حمل آشور ناصربال على مملكة بيت زمانئي ( آمد - ديار بكر ) عام ٨٨٢ ق م وسبى الفا وخمسمائة من الاراميين ( اخلامو ) واتى بهم الى بلاد آشور • كما جلا شلمنصر الثالث ( ٨٥٩ - ٨٢٤ ق م ) أو الخامس ( ٧٢٧ - ٧٢٢ ق م ) نحو ألفين واربعمئة من أهالي مملكة بيت عديني ( وعاصمتها تل برسيب أو تل الاحمر ) الى آشور ، وجعل الدويلة المذكورة ولاية آشورية • وبعد انتصاره على التحالف المصري الارامي في واقعة قرقر ، نقل سرجوز عددا غفيرا من أهالي حماه الى السامرة ، واوطن في حماه نحو ستة آلاف وثلاثمئة آشوري ، بينما نقل نحو سبعة وعشرين الف آرامي الى بلاد آشور وبابل • ومنذ المدّ اليوناني في القرن الرابع ق م ، انتشر عدد من اليونانيين ، ثم من الرومان في المنطقة ، واختلط بعضهم باهاليها ، علاوة على انتشار اقوام آخرين ، وتزاوجهم ، وانصهارهم ، وتأثيرهم ... فلا يصح البتة فهم الارامية والاراميين ضمن منطقة محدودة ثابتة المقاييس والابعاد ، ولا يحق حصرهم ضمن جنس معين واحد • وكذا الامر بالنسبة الى المنطقة وأهاليها ...

وثمة ظاهرة أهم من سابقتها ، ذات صلة وثقى ببحثنا الفكري العلمي،

تركز فيما اقتبسه الاراميون من حضارات وادي الرافدين ووادي النيل وحوض البحر المتوسط ، وما أفادوه لغويا وفكريا وعلميا وفنيا ، فاضافوا وطوروا ، رغم انهماكهم بالحروب والتجارة . بل ان العامل اللغوي كان مؤثرا في تأكيد نفوذ الاراميين ، لان بساطة الابدجية الارامية وسهولة نحوها وصرفها ، ساهما في انتشار هذه اللغة في رقعة الهلال الخصيب والمناطق المجاورة ، لدى سائر الشعوب القاطنين آسيا الصغرى والبلاد الواقعة تحت الحكم الفارسي من حدود ارمينيا وحتى جزيرة العرب ، وذلك منذ القرن الرابع عشر ق . م حتى عهد الاسكندر المقدوني وخلفائه ، اذا اتخذتها الدولة الاغورية لغة رسمية لها ، وبعدها دولة فارس ، فأصبحت لغة دولية . ولم تقل أهميتها بكثير في العهد البيزنطي رغم انتشار اليونانية .

هكذا أصبحت الوليدة أمّا . وكان لتاجها الثقافي تأثير ذو شأن في حضارة المنطقة بأسرها . فالاراميون ورثة الحضارات المشرقية القديمة . والارامية فرع من أصل واحد عميق الجذور ، متعدد الفروع ، باسق الاغصان ، وفيه الزهر والثمر . انها شجرة يرجعها عالم الروايات التقليدية الى شجرة آدم في الفردوس الارضي ، وموقعه في البلاد الهلالية المشرقية المتوسطة .

ولو شئنا التنويه بشيء من معالم البيئة الثقافية الارامية ، لالفينا هذا النشاط متمركزا في تعابيد والقصور . وان قوما ، هم الاموريون ، خرجوا من شبه جزيرة العرب ، وتغلغلوا في بلاد الشام ووادي الرافدين ، فكونوا دولة عظيمة كان أشهر ملوكها حمورابي ( ١٧٢٨ - ١٦٨٦ ق م ) اتخذت من بابل عاصمة لها ، تكتفيها قوانينها المشرعة رسميا وحياتها العمرانية ومستواها الادبي للإشادة بعظمتها الحضارية . وقد استفاد الاشوريون من ذلك كله ، حتى بلغوا أوج العز في عهد سنحاريب ( ٧٠٥ - ٦٨١ ق م ) ، وكيف لنا هنا

أن نغفل ذكرَ مكتبة آشور بانيبال بألاف ألواحها اطينية التي حفظت لنا أهم واقدم تراث عالمي ؟ • ثم لمع نجم الكلدانيين ، فتوغلوا حتى الفرات الاعلى والأسفل ، وتحققت لهم انتصارات رائعة في عهد نبوخذنصر ، واشتهروا بالرياضيات والتنجيم<sup>(٥)</sup> . واستولى الفرس بعد ذلك على البلاد ، ثم الاسكندر ، وحكمها السلوقيون والفرس والرومان ، فاصطبغت المنطقة ، شعبا ولغة وثقافة ، بصبغات حضارية اخرى ، زادت من تفاعلها الحضاري القديم . وقد ظل نفوذ الارامية قويا وملموسا حتى بعد زوال نفوذ الاراميين السياسي ، فهي لم تعد لغة التجارة والثقافة وحسب ، انما لغة الحكومة والشعب في منطقة الهلال الخصيب ومجاوراتها . ولم تفقد هذه الميزة في عهد الفرس ، اذ لم يتمكن هؤلاء من فرض لغتهم . بينما نجابه بانحسار الارامية حيال المد اليوناني اللغوي والحضاري<sup>(٦)</sup> .

هكذا كان الاراميون ورثة الحضارات الاثورية والبابلية والفينيقية ، وبشكل غير مباشر ورثة حضارات أقدم كالسومرية والمصرية القديمة جدا ، كما تأثروا بالتراث الفارسي واليوناني ، وأثروا بأشكال واشكال في حضارات حوض البحر المتوسط . وقد اضافوا الى كل ما أخذوه وابدعوه أصالة مشرقية وتطورا ملموسا . أما لغتهم فكانت قد امتد ظلها على سائر اللغات لاسباب علمية بالدرجة الاولى .

(٥) علوم البابليين لمرغريث روثن ، ترجمتي ، بغداد ١٩٨٠ ؛

طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، بغداد ١٩٧٣ ؛  
العراق القديم لجورج رو ، ترجمة حسين عزان حسين ، بغداد ١٩٨٤ .

(٦) فيليب حتي ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ج ١ ، وانظر : انتصار الحضارة لبرستد ؛

تاريخ مصر والشرق الادنى لنجيب ميخائيل ؛ تاريخ سوريا لاسد الاشقر ، ج ١ والخ .

هذا ما ستره السريانية والناطقون بها بشكل طبيعي وعفوي ، مع ما هنالك من تأثير بلغات المنطقة وحضاراتها الاخرى ، لان المنطقة الواقعة في حوض البحر المتوسط وحتى جبال طوروس التي هي من أشد المناطق تعرضا للتشابك والتنقل والتحويلات ، كما انها الاكثر تنوعا وغنى .

### ثانياً - السريانية لغة معاهد وثقافة

#### شائعات واعتراضات

كما الحال بشأن الفقرة السابقة ، تقوم هكذا ، بشأن هذه القضية أيضا ، شائعات نحاول هنا تفنيد الخاطيء منها وايضاح الغامض وصولا الى قول سليم من خلال المعطيات الموثوقة .

الـ يانية - يقولون - لغة كنسية ، وتراثها ديني بالدرجة الاولى .

نجيب عن تردد : التعبيران تعميان غير دقيقين ، بل غير صحيحين . لان ما يقال بشأن السريانية يمكن تعميمه على اللاتينية والعربية مثلا . فقد تبنت كنيسة الغرب الكاثوليكية اللغة اللاتينية مدة قرون لغة رسمية فرضتها كنيسيا حتى على مناطق نائية وأقوام بعيدين جدا عن الغرب ، فتلبس شكلها بزى كنسي دون ان يمكننا نفي تراث ادبي وعلمي عن اللاتينية . وكان الفضل الاكبر لترسيخ دعائم العربية وانتشارها للقرآن الكريم والدعوة الاسلامية ، لكننا لن ننفي الصفة العلمية والانتاج الفكري والادبي عن العربية .

وقد ألمحنا في بحث آخر<sup>(٧)</sup> الى الاسباب التي جعلت الناطقين بالسريانية الذين آمنوا بالمسيحية يتعدون عن تراثهم « الوثني » القديم ، ويتنكرون في بادىء الامر على الاقل ، لكل ما لا يمت الى الدين بصلة . غير ان هذا لا ينفي

(٧) الفلسفة السريانية ، ص ١٤ - ١٥ .

وجود تراث « علماني » حتى في أشد الفترات تمسكا بالدين ، اما في الفترات الاخرى فالتراث العلمي والفكري غير الديني موجود بمقدار غير يسير ، انما ينبغي الكشف عنه : فهو عادة مغلف بأطر دينية وكنسية مختلفة .

ويظل الاعتراض قائما ، حتى تثبت بأدلة وشواهد لا تقبل الجدل والتشكيك فيه . ومفاده ان للسريانية تراثا فكريا ، علميا ، ادبيا ، وفنيا يتعدى نطاق الدين وشؤون الكنيسة . هذا بالضبط ما نحاول اثباته ، مركزين على القرون ٢ - ٧ للميلاد ، فهو العصر الذهبي الاول ، سيليه عصر ذهبي آخر يمتد من القرن ٨ وحتى ١٤ للميلاد<sup>(٨)</sup> ، لن يدخل في اطار بحثنا هذا ، وقد أفاض فيه آخرون بشكل أو بآخر .

ومن المفيد التنويه بأن تراث السريانية الفكري والعلمي منه ما كان في خدمة الدين ومتطلبه فعلا وحقا ، ومنه ما كان مستقلا بل غريبا في بعض الاحيان . وهذا شأن معظم المعارف في العصور الخوالي . فقد بقيت الفلسفة مثلا في خدمة الدين ( اللاهوت ، الفقه ) حتى عصر النهضة الحديثة في الغرب . والجميع مضعون على ما فيه الكفاية من المشادات الطويلة بين الغزالي والمتكلمين وابن رشد والعقلانيين بشأن ذلك . وهكذا الامر بشأن الرياضيات والفلك ، والموسيقى والخط وغيرها ، فهي علوم وفنون خدمت الدين وأفادت منه في تطورها وانورها .

### آرامية وسريانية

السريانية ، كما أسلفت ، لغة آرامية متطورة . لم تتبلور فجأة في مكان معين واحد ، بل عرفت سنة التطور خلال عقود وقرون ، في جملة أماكن ، وبأشكال

(٨) اضافة الى ما ذكرناه في الهامش رقم ٢ ، انظر : عصر السريان الذهبي للفيكونت فيليب دي طرازي ، ط ٢ ، حلب ١٩٧٩ .

متباينة ، وذلك بفضل عدة عوامل ، شأنها في ذلك شأن سائر لغات العالم والشعوب ، ولاسيما الأكثر تعرضا للتمازج والتغير .  
ولعلي أوجز تشخيص أبرز العوامل في ثلاث نقاط مهمة هي :

١ - متطلبات الدويلات الارامية وتبني بعضها التطور اللغوي الحاصل في صفوفها .

٢ - تأثير الارامية ، ووليدتها السريانية الناشئة ، بالفكر والعلوم والفنون اليونانية خاصة .

٣ - تبني الكنيسة هذه الوليدة المتميزة في منطقة معينة ، لغة رسمية .  
واستخدامها في الكتب والطقوس .

ولابد لنا هنا من التعرض لمشاكل التسمية : «السريان» ، و «السريانية» .  
فقوم يقولون انها مشتقة من سوريا ، وهذه من آشور . وآخرون من سورس الانطاكي . بينما يرى غيرهم انها اعجمية ، أطلقها اليونان ، أو مسيحية لتمييز لغة القوم المنتصرين عن الذين بقوا على الوثنية<sup>(٩)</sup> .

من الثابت ان اليونان السلوقيين حين أقاموا دولتهم ( ٣١١ - ٦٤ ق م ) .  
اثر فتوحات الاسكندر ، أطلقوا على الاراميين لقب « سريان Syrians »  
تمييزا لهم عن « الاشوريين Assyrians » الذين لم يتمكن السلوقيون  
من السيطرة عليهم . ثم جرى تمييز بين « سورية الغربية » و « آسورية  
الشرقية » . ثم ما عتم ان سميت الارامية بالسريانية ، حتى حصل الالتباس  
بين اللفظتين . وزاد الامر تعقيدا وتشابكا اثر المنازعات السياسية الخاصة  
بين الفرس والروم ، فانها لم تتمكن من الحد من نفوذ الارامية ، بل تسكنت

(٩) اللمعة الشهية للمطران اقليميس يوسف داود ، ص ١١ ، واللغة السريانية  
للمطران صليبيا شمعون ، مجلة بين النهرين ١ (١٩٧٢) ، ص ١٨ - ٢٢ .

هذه اللغة من ضمان وحدة الدولة الاثورية ، كما تحدث بها العبرانيون ونقلوها الى مصر ، فحافظت على كيانها حتى القرن الخامس ق م ، لاسيما في جزيرة الفيلة . وورثها الفرس الاخمينيون عن الاثوريين والكلدانيين ، واعتبروها لغتهم الرسمية ، فأصبحت لغة الشعوب الشرقية اجمالا ، يستخدمها التجار والعلماء ، ونطق بها المسيح وتلاميذه ، وتبنتها كنائس شرقية متعددة ، ولاسيما كنيسة المشرق التي كرسيها سلوقية - طيسفون فنشرت في أوساط نائية جدا ، كما في بلدان آسيا الوسطى وظلت السريانية تنافس اليونانية ، حتى حين أصبحت بلاد ما بين النهرين ولاية رومانية ، بحيث يمكننا القول ان لغة الدولة البيزنطية كانت السريانية بالدرجة الاولى ، تليها اليونانية ، ثم لغات اخرى كالعربية والقبطية وغيرها من لغات المنطقة<sup>(١٠)</sup> . ولا عجب ان ينشأ هذا التشابك والتوسع والامد الطويل اختلافات ومفارقات ، منها ما يخص التسمية أيضا .

ورغم النزاع المستديم بين البيزنطيين والساسانيين ، ووقوع اندن الارامية والمسيحية الشرقية السريانية تحت حكم هؤلاء واوئك . نلقى استمرار انتعاش السريانية وتوغل المسيحية شرقا ، بحيث سجل القرن الرابع نصرا مبينا للدين الجديد ، والسريانية لغة طقوسه وكتاباته ، «فبذ المسيحيون اللغة اليونانية ، متفردين بالسريانية ، وقاوموا الكتابات الوثنية ما أمكن ، ولو آرامية ، وقاموا بنشاط ديني وفكري لا مثيل له في التاريخ»<sup>(١١)</sup> . والمهم في أمر التسمية انها حديثة نوعا ما ، ترجع الى خمسة أو اربعة

(١٠) خلاصة كلمة القاها البروفسور Vincenzo Poggi في ندوة دارت حول انتقال النصوص اليونانية واللاتينية القديمة الى لغات شرقية ، وذلك يوم ٢٦-٣-١٩٨٥ ، وسوف تنشر البحوث في كتاب مستقل من قبل جامعة روما - الحكمة .

(١١) فولوس غبريال - كميل البستاني ، الاداب السريانية ، ص ١٢ .

قرون ق م بالنسبة الى منطقة غربي الفرات ، بينما تعود الى سنوات قليلة بعد الميلاد نسبة الى البلاد الواقعة شرقي الفرات . نستمع الى رأي الدكتور حتي : « عندما اتخذ المسيحيون الاراميون لهجة اديسا ( الرها - اورفه ) وجعلوها لغة الكنيسة والادب والتعامل الثقافي ، صاروا يعرفون باسم سوريين ، وأصبح لاسمهم القديم ، أي الاراميين ، مدلول وثني غير مستحب في عقولهم ، ولذلك تجنبوه بوجه العموم ، وحلت محله التعابير اليونانية ، وهي سوري بالنسبة للشعب ، وسرياني بالنسبة للغة » (١٢) . وكان المطران أدي شير قد قال : « للكلدان المسيحيين اسماء كثيرة في التواريخ . فسموا آراميين نسبة الى آرام بن سام الذي استوطن هذه البلاد وعمرها بنسله ، وفرسا لكونهم وجدوا في مملكتهم ، ومشاركة لانهم في المشرق ، ونساطرة لاتباعهم تعاليم نسطور بطريرك القسطنطينية ، وسريانا شرقيين تميزا لهم عن السريان الغربيين وهم اليعاقبة ( الارثوذكس ) . . . » (١٣) . وقال فولوس غبريال وكميل افرام البستاني : « لا تفيد لفظة السريين بطنا من قبيلة أو فخذاً من قوم ، ولا فرعاً من أصل أو جزءاً من كل . بل أطلقت على من أدرك النصرانية من سكان سورية الاراميين ، فانسلخ من تنك الجماهير التي كانت قد انتشرت في المشرق ، منذ الالف الثاني قبل الميلاد ، متمركزة في ممالك مستقلة فرضت سلطتها على شعوب البلدان حيناً ، أو منكشحة في مجموعات منعزلة خضعت لصاحب السلطان احياناً . ولطالما تلاعبت بها أحداث الزمن ، وكيفتها صروف الدهر ، من قيام دولة وزوال أخرى . من سومريين ، وبابليين ،

(١٢) تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج ١ ، ص ١٨٤ .

(١٣) كلدو وآثور للمطران ادي شير ، بيروت ١٩١٣ . ج ٢ ، المقدمة ب . وينهي قوله باستنتاج لم تعد تقبله الدراسات الحديثة علمياً ، محاولاً اثبات تسمية ( كلدان ) و ( كلدانية ) كاسم اصلي لغة وجنسا ووطناً ، بينما الحقيقة اكثر تعقيداً وشمولية من ذلك .

وحثين ، وميتانيين ، وآشوريين ، وكلثان ، وفرس ، ويونان ، وروم ،  
وعرب ، فكان لها في كل ذلك يراع في خط التاريخ القديم ، وسهم في خلق  
الحضارة الانسانية الشاملة . ينتسب الاراميون اجمالا الى آرام بن سام بن  
نوح ، على ان الحلقات ضاعت بينهم وبين جدهم . وقد يرجعون في أصلهم ،  
على ما يبدو ، الى تلك الموجة من السمين التي انطلقت ، حول الالفين  
ق . م . ، من جنوبي العراق ، باتجاه الفرات الاعلى ، حيث استقروا في الحلقة  
المكونة من هذا النهر ومن ساعده البليخ ، الى دجلة ، فعرفت البلاد باسم  
« آرام النهرين » ، واتخذت حران قاءة لها . ثم ما لبثوا ان انصرفوا الى  
وادي العاصي ، متطرفين حتى البقاع . ومتوغلين حتى شرقي الاردن ، في  
« آرام دمشق » ، متوقفين في انتشارهم شمالا ، أمام جبال طورس الوعرة ،  
ومحجمين ، غربا ، عن بادية الشام القفرة ، فمتحضرين في المناطق الخصبة ،  
وهي كلها « آرام » ، تتميز الواحدة عن لاخرى باضافة المسمى المحلي « (١٤) .  
وبوسعنا الاستزادة من الشواهد والاراء .

ومن الاهمية البالغة بمكان القول ان التسمية التي شاعت لدى الناطقين  
بالارامية - السريانية انفسهم ، منذ بدايات العهد الميلاي على الاقل ، هي  
« سوريايا » ، تطلق على القوم كما عى اللغة ، وذلك بلغتهم ، لا فرق في  
ذلك حتى بين اتباع المذاهب المختلفة منهم بعد ان فرقتهم المذاهب الدينية  
الى فرق مختلفة . وتشمل حتى يومنا هذا لفظة ( سوريايا = سوريايا ) جميع  
المنتسبين الى هذه اللغة والتراث الارامي - السرياني ، مع تأكيد على المسيحية  
كاتتماء ديني . أما المؤرخون العرب الندامي ، وكتبة السريانية انفسهم ممن  
كتبوا بالعربية ، فقد قالوا « السريان » أو « السريانين » و « السريانية »

(١٤) فولوس غبريال - كميل البستاني . ص ٧ .

حين أرادوا السريانية والناطقين بها منذ القرون الاولى للميلاد فما بعدها<sup>(١٥)</sup>.

### تطور الارامية السرياني

ليس لنا تحديد الفترة الزمنية بدقة ، ولا المكان بالضبط ، اللذين فيهما تم تطور الارامية السرياني ، وهذا شأن جميع اللغات ، فهو تطور طبيعي يتطلب وقتا طويلا ومواضع متعددة ، لانه حصيلة عوامل مختلفة . لذا فهي اشارات لا غير هذه التي نسجلها للكشف عن هذا التطور الحاصل .

لقد اتسح مجال التطور بشكل خاص منذ وفاة انطيوخس ايفانس ( ١٧٤ - ١٦٤ ق م ) ، وذلك بانتهاء النظام البوليبي ، ثم بانصرام جبل القوة السياسية للسلوقيين . اثر تدمير قوات لهم كبيرة من قبل الفرثيين نحو سنة ١٣٠ - ١٢٩ ق م ، اذ استقلت بعض اجزاء بلاد ما بين النهرين ، فحكمت بعض العوائل والقبائل العربية والنبطية ، كما في الحضر وسنجر في الشرق ، وميسان Mesene في الجنوب ، واتيوسيا واديسا ( Anthemusia, Edessa ) في الغرب ، وغدت الاخيرة قاعدة مملكة مستقلة قبل وفاة انطيوخس سيديتس ( سنة ١٢٩ ق م ) بقليل ، ولا عجب فان اديسا - الرها أهم مدينة في مقاطعة اوزرهيني ( Osrhoene ) ( ١٦ ) .

ليست لنا اشارات واضحة عن الرها خلال العهد السلوقي الاول . أما بالنسبة الى العهد المتأخر فلنا بعض الشيء لدى المؤرخين الذين كتبوا باليونانية واللاتينية . يمكننا ان نستنتج منها انها كانت تميل سياسيا الى الشرق أكثر من ميلها الى الغرب ، رغم انها كانت مكرهة على الاستناد على

(١٥) هكذا مثلا نرسي ، حنين بن اسحق من كتبة السريانية ، واليعقوبي والمسعودي والطبري من المؤرخين العرب .

(١٦) J. B. Segal, Edessa, ( The Blessed City ) , Oxford 1960, p. 9 .

احدى القوتين المتنازعتين عهد ذلك ، فبرهاها تارة مع الرومان ، واخرى مع الفرثيين . لذلك كان التشابك الروماني - اليوناني - الفرثي قائماً في مملكة الرها التي تأسست بشكل فعلي عام ١٣٢ - ١٣١ ق م ، ويفيدنا كيرشمن ودرافيرز بأن الرها لم تخل يوماً من نزعة مشرقية واضحة (١٧) .

### الرها مملكة حضارية

انتزعت الرها بقليل من الزمن اسبقية لغوية وثقافية على سائر دويلات الاراميين الذين اخذوا يسمون « سريانا » ، ولغتهم « سريانية » . وتصاعد الامر بعد ان اعلنت الرها مسيحيتها ، كأول مملكة في العالم تعلن المسيحية ديانة رسمية نجا ، وذلك في القرن الثالث للميلاد على أبعد تقدير . اما انتشار المسيحية فيها ، وفي مناطق مشرقية اخرى ، فقد تم منذ القرن الاول للميلاد (١٨) .

يقول اوليري : « ان الرها باعتبارها مركز كنيسة الشعوب المتكلمة بالسريانية ، وباعتبارها موطن الجانب السرياني من الحياة العقلية اليونانية في الشرق ، قد أصبحت مركز انتشار ضياء النهضة الكبادوكية » (١٩) ، ويقصد الاباء القبادوقيين الذين كان لهم اكبر التأثير على العلوم الدينية قديماً ، وهم باسيليوس وغريغوريوس النيصي وغريغوريوس النزينزي .

Roman Ghirshman, Parthes et Sassanides, Paris 1962 ; (١٧)

H. J. W. Drijvers, Hatra, Palmyra, und Edessa, in : Austieg und Niedergung der Römischen Welt, II, Berlin - New York 1977.

(١٨) حصيلة دراسات طويلة اقوم بها منذ سنوات ، وكنت قد دبجت منذ عام

١٩٦٢ بحثاً نقدياً في بدايات المسيحية في بلاد الرها وما بين النهرين ، قدمته كاطروحة بكالوريوس في اللاهوت في روما ، ما يزال مخطوطاً .

(١٩) علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب لدى لاسي اوليري ، ترجمة د.

وهيب كامل ، القاهرة ١٩٦٢ ( وثمره ترجمة عراقية ، بغداد ١٩٥٨ ) ،

ص ٩ .

لقد كان التنظيم الاداري في الرها ذا صبغة هلنسية ، تبدو فيه تأثيرات فرثية • ويفغل الباحثون عادة ارجاع هذه كلها الى اصول اقدم تمتد الى حضارتي وادي الرافدين ووادي النيل ، فهي اصول بعيدة ، لكنها أكيدة أيضا •

وخزانة المملكة الرهاوية الخطية ووثائقها من أنفس الآثار الخفية السريانية القديمة ، فهي من القرون الاولى للميلاد ، مكتوبة بآرامية - سريانية<sup>(٢٠)</sup> ، سوف يستقي منها اوسابيوس القيصري المؤرخ الكنسي الشهير معلومات قيمة في تاريخه<sup>(٢١)</sup> •

ولابد من التوقف لدى أحد مشاهير الرها الاوائل ، ططيانس المولود في بلاد آشور نحو سنة ١٢٠ م ، لغته آرامية - سريانية ، ودراسته موسوعية ، تلقاها في عدة مدارس ، حتى انه وصل روما ، وقد اعتنق المسيحية ، وقام بترجمة نصوص الانجيل الاربعة من اليونانية الى السريانية وجمعها في واحد (الدياطسرون) • وتبدو مشرقية من كتاباته ، فهو يتنكر للفكر انجيني عادة ، وله جملة تأليف في الكمال ، والكائنات الكاملة ، وطبيعة الشياطين ، والمعضلات ، وضد الذين يبحثون في أمور الله ، كما له خطاب ضد ايونان هو خلاصة فلسفية علمية مكونة من اربعة اقسام و ٤١ فصلاً في العلم ، والله ، والخلقة ، والحرية والارادة ، والملائكة والشياطين ، وسقطة الانسان ، والاتحاد بالروح حتى بلوغ الخلود ، والحضارة اليونانية والمتناقضات التي تحملها ، وقينة المسيحية وسوها • اما الدياطسرون ، أو الانجيل الموحد ، فقد كانت له شهرة منقطعة النظير في القرون الاولى للميلاد ، لنا منه ترجمة

(٢٠) سيكال ، اديسا ، ص ٢٠ .

(٢١) كما في الفصل ١٣ من الكتاب الاول بشأن اسطورة ابجر - ادي . وقد كتب اوسابيوس القيصري تاريخه عام ٤ / ٣٢٥ م .

عربية قديمة<sup>(٢٢)</sup> وقد طبعت مرتين •

اما عملاق الادب السرياني في عهد هذه المملكة فهو برديسان المولود في الرها على الارجح ، لكن من ابوين من منطقة حدياب ، كطيانس ، وذلك سنة ١٥٤ م • تدرب في بيمارستان منبج ( هيرابوليس ) المركز السرياني المهم ، ودرس التنجيم ، بل نشأ في قصر ابجر ملك الرها ، وارسل ابنه الى معاهد آثينا لتعلم الفلسفة الرواقية والشعر والموسيقى • ترك لنا تلميذه فيليبس كتابا مهما عنوانه ( شرائع البلدان ) يبدو فيه تاثر برديسان بمناهج اليونان مع اصالة فكر مشرقي تكشف عنه الدراسات يوما بعد يوم<sup>(٢٣)</sup> • واشتهر امره جدا ونسبت اليه بدعة ( البرديصانية او نديصانية ) ، فقد اهتدى الى المسيحية بعد مسيرة متعمقة ، لكنه تبنى افكرا خاصة أهمها - حسبما يذكر مار افرام اكبر معارض له - القول بمبدأي انور والظلمة ، وخضوع الكائنات للاجرام السماوية ، فابعده اسقف الرها عتي عن المدينة • وانتشرت بدعته بفضل المزامير والقصائد الملحنة ، واستمرت حتى القرن الثامن للميلاد كما يشهد بذلك يعقوب الرهاوي ( المتوفى سنة ٧٠٨ م ) • ويفيدنا كتبة العرب والمسلمين ان اتباع برديسان انتشروا بين واسط والبصرة ، كما في خراسان وتركستان والصين حتى القرن العاشر • كتب ضد بدعة المرقيونية ، بينما كتب ضده

(٢٢) الاب د. بطرس يوسف ، طيانس ، مجلة مجمع اللغة السريانية ، المجلد ٣ (١٩٧٧) ، ص ١٤٧ - ١٦٤ . وقد طبع نص الدياتسرون الاب مرمرجي ، بيروت ١٩٣٥ ، وتبلى جاسكا عام ١٨٨٨ ، ثم بيترس سنة ١٩٣٩ .

(٢٣) كتب الكثيرون عن برديسان • آخرهم البروفسور درايفرز ، انظر كتابه وفيه بيلوغرافيا شاملة :

H.J.W. Drijvers, Bardaisan of Edessa, Assen 1966. Bibliography, p. 229 — 249.

مار افرام ( المتوفى سنة ٣٧٣ م ) لكنه خلد لنا تنفا من قصائده (٢٤) ، ويشرح لنا بركوني ( من القرن الثامن ) نظرياته في الكون ، تلقى فيها شواهد مشرقية أصيلة ، وللمرأة لديه مكانة مرموقة (٢٥) . ولبرديسان ، علاوة على كتاب شرائع البندان ، سفر في التنجيم ، ومزامير بعدد مزامير داود النبي ، ومجموعة مراغظ وبحاث دينية وفلسفية وتاريخية وفكرية .

لم تصبح الرها والممالك الارامية - السريانية الاخرى مسيحية كلها في القرون الاولى للميلاد ، فثمة آثار وثنية واضحة ، كما كانت فيها جاليات يمنية متحكمة . وقد كان آخر قرن من قرون المملكة الرهاوية ، القرن السادس ميلاد ، حافلا بانتشار المسيحية فيها بشكل كبير ، وكذلك في المنطقة برها .

ويد لنا وصف الفكر المسيحي الهذي شاع في أوساط الرها بانه ارتوذكسي . قويم اصيل ، مع نزوع نحو المرقيونية والغنوسية والديسانية ، الامر الذي أعد . جاهزة لكي يصوغ ماني مذهب الخليط من الوثنية واليهودية ، والمسيحية متأثرا بالزرداشتية الفارسية ومبادئها الخير والشر ، لكي يتجدد في الكسائية التوفيقية النزعة . وقد انتشرت المانوية في رقعة كبيرة من البلاد ، وعرفت في نصوص آرامية وسريانية ، بل تبنى مبتدعها اسطورة بجر - ادي ، فسمى تلميذه ادي وتوما . بينما انتشر أدب الغنوسية بالارامية ، اليونانية . وشهيرة هي كتابات ناج حمادي . ولعل صابئة حران امتداد لنزعة مانوية ، بينما اللغة المنداعية آرامية (٢٦) . ان هذا المزيج الفكري

(٢٤) در بمرز ، برديسان ، كما اعلاه . وانظر كذلك :

Bardesane, Le Livre des lois des pays, éd. F. Nau, Paris 1931

(٢٥) سيكل ، اديسا ، ص ٣٥ - ٤٠ .

(٢٦) د. - جي التكريتي ، الفلسفة الاخلاقية الافلاطونية عند مفكري الاسلام ، ص ١٣٦ - ١٤١ ، وانظر :

The Nag Hammadi Library in English, Leiden 1977.

والديني ( Syncretismus ) اشاع مناخا حضاريا فضفاضا وجوا اجتماعيا مرحا في البلاد . ويدل الامر على افتتاح اهالي المنطقة على أفق المعرفة مهما اتسعت ، كما على نفس فكري موسوعي ينزع اما الى الخلط والتوفيق ، او الى التطوير والابداع والخروج عن الموروث والمألوف ، سواء أكان في العادات ام في التفكير .

والنزعة المشرقية بينة كما برهن كيرشمن ، فان فنون الحضرة ودورا وتدمر مشرقية اكثر منها غربية (٢٧) . وقد زاد درايفرز فقال : ان الثقافة في الرها فن سامي الكلام والكتابة (٢٨) .

وتبنت المسيحية المشرقية سريانية الرها واطرافها . وكان ما يزال ثمة من يفضل اليونانية على السريانية ، فهي لغة السلوقيين والبيزنطيين . اما لغة الفرثيين الادبية فهي الارامية ، وقد تعدت ، وتطورت في هذه المرحلة الحاسمة بالذات من تاريخ المنطقة ، مرحلة انتقالها سياسيا ودينيا ولغويا . ولسنا نخطيء في تعميم ذلك على الثقافة ايضا . لكت نلمس في مجمل هذا التحول نزعة مشرقية اصيلة . يكفينا الاستشهاد بططيانس وبرديسان وافرام ، فهم من أجل وجوه الثقافة السريانية الاولى ، فافرام لم يتاثر بالثقافة اليونانية ، وططيانس وبرديسان لم يجذاها . انهم مشرقيون أصيلون (٢٩) .

وقبل ان تترك ظاهرة الرها العجيبة . نشير الى ان مدينة الرها كانت مرتبطة بطريق مهم يصلها بنصيبين وحدياب فارمينا باتجاه الشرق ، بينما

(٢٧) كيرشمن ، موجز الفصل الاول ، ص ١١٦ .

(٢٨) درايفرز ، الحضرة .. ص ٢٢٨ .

(٢٩) سيكال ، ص ٣١ ، درايفرز ، برديسان ، ص ٢١٤ . وبشان مار افرام ، كتاب مهرجان افرام - حنين ، بغداد ١٩٧٥ ، القسم الاول ، وفيه مراجع عديدة .

يصلها بسنجان والحضر في الجنوب الشرقي ، وبميسان حتى الهند عبر الخليج الى الجنوب ، وبمنبج الى الغرب ، ويتدمر الى الشرق الاقصى . كما كان ثمة طريق آخر الى فلسطين عبر منبج ايضا . وهذا دليل على اهميتها التجارية والاقتصادية . وكان ابولونيوس من تيانا قد سلك طريق الرها في ذهابه الى الهند نحو سنة ٤٧ م ، كما قطعت وفادة هندية سنة ٢١٨ م ، اي في عهد برديسان ، قصدت امبراطور روما .

### بعض النواحي الصوراتية والغنية المشتركة

اكتسب هيكل هيرابوليس شيرة كبيرة تناقلتها بابل وآشور ومصر والحبشة ، حتى اطلق عليها اسم «المدينة المقدسة» . وكانت الالهة الام «ترعطا» ( Tara'tha - Atagratis ) تنبئها الالهة هيرا ( Hera ) لدى اليونان . اما زوجها فهو الاله حداد ، يقابله زيوس او جوبيتر لدى اليونان والرومان . ثم اكمل الثالوث باله شاب ، فكان الثالوث التدمري : بيل واغليبول وبرجيول ، والثالوث الحضري : مارن ، مرتن . وبر مارين . وهو عينه : اتارغاتيس ، زيوس ، وابولو لدى اليونان . وقد كانت عبادة « مارا » في تدمر ايضا ، لانه صفة للاله « بعلمين » اي « سيد السماوات » او الهها . وترجع هذه العبادة الى ايام الاراميين ، كما نلقاها في القرون الاولى لليلاد . وقد ياتي اسم هذا الاله « مارا دعلما » اي « سيد » او « رب العالم » ، او هو « ماريلاها » اي « السيد الاله » . ويدل هذا كله على وجود اصول مشتركة قديمة ، كما يدل على التقارب والتمازج بين مدن المنطقة رغم التقلبات السياسية واللغوية .

وكان في المنطقة اكرام الهة اخرى متشابهة ، منها الهة الاجرام السماوية

وعلى راسها الشمس ( الاله شمش ) ، والقمر ( الاله سن ) . كما اتشرت بكثرة عادة تقديم القرابين للالهة ، ورفع الادعية ، وحرق البخور . وتتشابه كذلك الاعياد والعادات الشعبية في مدن المنطقة كلها .

اما التماثيل والمنحوتات فكثيرة ومتشابهة . ويختلف هنا رأي الباحثين، فمنهم من يرى الاصل الاغريقي والروماني في العديد من الآثار الفنية الشاخصة في الهياكل والقصور الارامية - السريانية ، ومنهم من يرجع ذلك الى أصالة مشرقية قديمة . ونحن مع الرأي الاخير ، تؤكد لا تعصبا وانفعالا ، بل علميا وتوثيقيا ، مصعدين الاستنتاجات الاولية لكل من كيرشمن ودراينرز ، حتى القول باكثر من تاثيرات مباشرة قريبة ، ولكن دون نفي تاثيرات اشدت هنا او ضعفت هناك (٣٠) .

وقام في الرها ، اضافة الى القصر والمعبد، برج بجوار القصر عرف باسم « برج الفرس » لانه بني في عهد تسلطهم على البلاد . بينما يذكر لنا تاريخ الرها ( المدون في القرن الثالث ) بان فيضان نهر ديسان سبب هدم كنيسة سنة ٢٠١ م ، ولعل مقام ابراهيم الخليل هو موقعها القديم . وكثيرة هي شواهد القبور في هذه المدينة . وقد تكون اول كتابة سريانية هي المؤرخة سنة ١٦٥ م (٣١) ، ثم كثرت الكتابات السريانية فيها فيما بعد ، كـ في مناطق اخرى ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ، عقد بيع امتسين امكتوب على

(٣٠) يكفينا عقد مقارنة موضوعية وفنية بين الآثار السومرية - البابلية - الاشورية من جهة ، والفينيقية من الاخرى ، وبين الارامية والسريانية ، دون توسيع الحلقات ، للتأكد من القرابة ، دون التنكر لتاثيرات يونانية، رومانية ، ايرانية ، مصرية وغيرها . وكتب الفن القديم كثيرة ومعروفة ( عكاشة ، بارو ، احمد زكي وغيرهم ) .

(٣١) سيكال ، اديسا ، ص ٥٧ .

الرق في دورا يوربس ( الصالحية ) سنة ٢٤٣م (٣٢) ، وتاريخ الرها المذكور  
آثفا ، وخزانة المملكة الوثائقية وكتابات السريانية .

وقد اثارت مسيحية الرها تساؤلات ، لها انعكاساتها على النواحي  
الادبية وغيرها ، اذ الفرق كبير في ان تكون الرها قد اصبحت مسيحية منذ  
القرن الاول ، او علينا ان ننتظر القرن الثالث او الرابع . وسبب ذلك شكوك  
أثارها النقاد في أواخر القرن الماضي واوائل الحالي بشأن (اعمال ادي) وكتب  
اخرى كانت تشكل مع التقليد السائد حججا وثق بها الاقنمون ، بينما  
نضعها النقد التاريخي الى صرامة اسلوبه فلم تصمد كل الصمود . رغم كون  
او بيوس القيصري ينقل موجزها في تاريخه الكنسي عام ٤/٣٥٥م . لكننا ،  
بعد اسات مستفيضة (٣٣) نقول بنواة اصلية مفادها : دخول مسيحية في  
الرها و تشارها فيها وفي المناطق المجاورة منذ القرن الاول للبلاد ، وربما  
على يد احد الاميد المسيح . وهنا يتردد اسم الرسول توما ، واسم تلميذه  
أدي ، وغيرها . وليس غريبا ان تدون هذه الحقيقة باسلوب قصصي ضم  
اساطير جميلة لاضفاء طابع ايماني ، كما كان يطيب لكتابة تلت العهود ان

(٣٢) اثر كتابي باللغة السريانية من القرن الثالث للميلاد ، المطران اندراوس  
صنا ، مجلة المجمع العلمي العراقي/الهيئة السريانية ، المجلد ٥ (١٩٧٩ -  
١٩٨٠) ، ص ٢٥١ - ٢٦٧ . وبشان الكتابات الارامية والسريانية  
القديمة انظر :

F. Vattioni , Preliminari alle iscrizioni aramaiche , in :  
Augustinianum IX ( 1969 ) , p. 305 — 361 ; J. H. Hospers,  
A basic bibliography of the study of the Semitic languages,  
vol. I, n. XII+ Drijvers, Syriac, p. 283 - 269.

(٣٣) راجع الهامش ١٨ . واهم الذين تناولوا هذه الرواية واشبعوها نقدا  
وتحليلا : فيليبس ، تراهن ، ليبسيوس ، تيكسرون ، دفن ، لابور ،  
مارتن ، مسينا ، اوربينا ، سيكال ، هرتلينغ ، ادي شير .

يفعلوا • وقد استوحيت بعض عناصر القصة - الاسطورة من قصة البيت الملوكي في حدياب ، كما يذكرها يوسفوس المؤرخ ، وهي قصة رومانطيقية جرت نحو ٣٦ م ، اي ايام الملك ابجر او كما ملك الرها ، فتم الربط ، بل الخلط ، بين ابجر او كما الخامس ، وابجر الكبير التاسع ( ١٧٩ - ٢١٤ م ) الذي اعلن المسيحية دينا رسميا في المملكة ، ويسميه يوليوس الافريقي (الذي كتب في مطلع القرن الثالث ) «رجلا فاضلا» ، ومن ندمائه برديسان الفيلسوف والاديب • كما اضيفت عناصر أخرى مشوقة الى قصة ابجر - ادي ، كالمراسلة بين ابجر والمسيح ، وابجر وطيار يوس قيصر روما ، وبركة المدينة ، واكتشاف الصليب ، ورسم المسيح على منديل ، وكلها عناصر ذات أصول ومعان ، لكنها تتعد عن تاريخية البدايات المسيحية في الرها •

عرفت قصة ابجر - ادي في نسخ سريانية عديدة ، منها ما هو قديم جدا ، منذ القرن الرابع • كما عرفت في نسخ يونانية ، وقبطية ، وحشية ، وعربية ، وفي اماكن متعددة • نلقاها على الرق ، كما على الحجر ، وفي بلاد ما بين النهرين كما في مصر ، ومقدونية ، وشمال الاناضول • ولا عجب ، فان الرها منذ البداية • مهما يكن من امر فان ثمة كنيسة في الرها قبل سنة ٢٠١ م وساهمت في نشرها في بلاد المشرق ، فهل يمكن ان ينسب ذلك الى بيثة يهودية او وثنية ؟ لذا ياتي الجواب في القصة من خلال امتيازات نعمت بها الرها منذ البداية • مهما يكن من امر فان ثمة كنيسة في الرها قبل سنة ٢٠١ م ( تاريخ الرها ) ، وططيانس وبرديسان من مشاهيرها ( شهادة يوليوس الافريقي ) ، وفيها عقد مجمع كنسي عام ٢٤٣ ( شهادة اوسابيوس القيصري ) ، ويذكر ابرسيوس بانه عاين مسيحيين في سهل سوريا ، وجميع المدن ، ونصيبين ، وما وراء الفرات ( وشهادته مدونة على حجر تعود الى قبل سنة ٢١٦ ) •

ولنعد الى ما قلناه زيادة في الوضوح : انه بانتشار المسيحية في البلاد ، عرفت السريانية ، وليدة الارامية ، تطورها اللغوي والثقافي ، وذلك من خلال ظاهرتين مهيتين : استخدام السريانية في الطقوس الكنسية وتعميمها على معظم كنائس المنطقة ، وانشاء المدارس وقيام اساتذة كبار كتبوا بها وعلموا .  
اضف الى ذلك ظاهرة السريانية كلغة مملكة ، ولو صغيرة .

### مدرسة الرها

يعزو بعضهم تاسيس مدرسة الرها الى مار افرام (٣١٠ - ٣٧٣م) ، غير ان البعثين المنقذين ينسبون اليه رفع مستواها الى مصاف عال . اما تأسيسها فاقدم من ذلك (٣٤) .

يسبب تيودوروس المؤرخ « مدرسة الفرس » او « الديداسكوليون المسيحي » . ويعتبر مار افرام اعظم اساتذتها . درس على يعقوب النصيبيني . الامر الذي يضطرنا منذ البداية على تأكيد الترابط ما بين مدرسة الرها ومدرسة نصيبين . ووضع افرام مؤلفات عديدة ، نظمها في نحو مليون بيت شعر . وغدت دستورا لمدرسة الرها ، كما لمدرسة نصيبين ، ردحا من الزمن ، كد اشتهر امرها حتى عرفها اليونان والرومان والاقباط والاحباش والارمن ، وادخلت الكنائس « الشرقية السريانية » العديد من قصائده في طقوسها وصلواتها ، وقد قام الكثيرون بتقصي آثاره ونشرها وترجمتها الى

(٣٤)

Arthur Vööbus, History of the School of Nisibis, CSCO 26f. subs.

26, Louvain 1965, p. 8 - 9 .

(٣٥)

Theodorus Anagnostes, Histor. Ecclesiast. excerpta, col 185.

## اللغات الاجنبية (٣٦) .

اما الاساتذة الاخرون الذين تعاقبوا على ادارة هذا المعهد الثقافي الكبير، وتركوا لنا كتابات ذات شأن ، فأهمهم : قيورا المفسر (المتوفى سنة ٦/٤٣٧م)، وهو الذي قام باستبدال كتب مار افرام بكتب تيودورس المصحي ( المتوفى سنة ٤٢٨ م ) كنصوص مدرسية لطلبة مدرسة الرها ، ويعني هذا تداخل السريانية واليونانية في المنطقة . وخلفه على ادارة المدرسة ربولا المولود في قسرين من اب وثني وام مسيحية . وهذا ايضا درس اليونانية بالاضافة الى السريانية ، وانتخب اسقفا للرها عام ٤١٥ م ، فساند هيا مدير المدرسة في تعميم كتب تيودوروس ، وما عثم ان انقلب الى جانب قورلس الاسكندري ، فترجم بعض كتبه ، وله جملة قوانين للاقليروس والرهبان، وموعظ وتراتيل . وسنتحدث عنه وعن نرسي العظيم بعد قليل .

ولن نسهو عن الشاعر البليغ اسونا ، مبتكر الوزن العشري ، فقد ذكر فيلو كسينوس المنبجي ( المتوفى سنة ٥٢٠ ) طريقته النسكية ، كما أحيا ذكراه انطون التكريتي الملقب بالبليغ أو الفصيح ( المتوفى سنة ١٥٠ ) في مصنفه بشأن الاوزان الشعرية . ترك لنا اسونا عدة اناشيد من نوع الميم والمداريس، طبع منها البطريرك رحماني شيئا ، لكنه نسه الى مار افرام<sup>(٣٧)</sup> .

ولنا اسماء اخرى لامعة برزت في تاريخ مدرسة الرها . منهم جثالقة واساقفة اداروا كنيسة المشرق والابرشيات السريانية العديدة . ومنهم كتبة

(٣٦) بالاضافة الى كتاب مهرجان افرام - حنين . بغداد ١٩٧٥ . انظر :  
I. Ortiz de Urbina, Patrologia Syriaca, Roma 1965, p. 56 - 83 ;  
Joseph Melki. S. Ephrem le Syrien, un bilan de l' - édition critique,  
in : Parole de l'Orient XI ( 1983 ) , p. 3 - 88.

(٣٧) غبريال - البستاني . الاداب السريانية ، ص ١١٨ - ١٢٥ .

كبار ، نذكر منهم معنا ، وكومى ، وبروبا ، ومارون الكاهن ، وعبشواطا النينوي ، ويوحنا الجرمقي ، وميخا ، وباولا بن فافا من كرخ الاحواز ، وابراهيم المادي ، وعزليا من دير كفر ماري وغيرهم<sup>(٣٨)</sup> . وقد كان لاساقفة الرها تأثير كبير على سير امور المدرسة ، مما يؤكد ارتباط الثقافة فيها بالدين .

وكان التعليم فيها يبدأ بتعلم مزامير داود قراءة ولفظا ، ثم تعلم الكتابة والخط ، فقراءة العهدين القديم والجديد ، فتوس الكنيسة ، وآباء الكنيسة الاوائل . وأهم كرسي في المدرسة للمفسر ( مبشقانا ) ، لان تفسير الكتاب المقدس كان بمثابة العلم الاسمى ، ويشتمل على علم الكتاب المقدس بالمعنى الحصري ، كما يشتمل على الفلسفة ، ولاسيب المنطق ، واللاهوت وسائر العلوم الدينية ، بالاضافة الى الادب ، واللغة . والصرف والنحو ، والشعر ، والتاريخ ، والخطابة ، والمعاجم ، ومبادئ احساب والفلك لاستخدامها في احتساب الاعياد والاصوام . وقد نوهنا بأهم النصوص الرسمية التي اعتمدها مدرسة الرها ، فهي كتابات مار افراد . ثم كتابات تيودورس المفسر أو الشارح<sup>(٣٩)</sup> . وكانت النزعة الخليطية ( Syncretismus ) والفلسفة التوفيقية epiclectismus قائمتين في الرها وأطرافها ، انطلاقا من انفتاح المنطقة على أقوام وشعوب كثيرة ، مما يخلق نشأ موسوعيا ، لم تضع فيه الاصالة ، انما تأكدت عبر مذاهب وأفكار جديدة .

(٣٨) نحيل القارىء الكريم الى امهات كتب تريخ الادب السرياني ( رايت ، دفال ، شابو ، بومشترك ، ادى شير . برصوم ، كامل - البكري - رشدي ، غبريال - البستاني ، ابونا . نوربينا والنخ ) ويؤيد اختلاف المنشأ وتعدد مواطن الدراسة وتنوع اماكن ممارسة نشاطهم ما نراه بشأن الثقافة السريانية .

(٣٩) برحذبشا اسقف حلوان ، علة تاسيس المدارس ( بالسريانية ) ، طبعة الباترولوجيا ، ص ٣٨٢ .

## ترجمات واجتهادات

بعد ان نوهنا ببعض التآليف الموضوعية بالسريانية ، نحاول حصر أهم الترجمات القديمة ، ومعظمها من اليونانية ، فهي التي ستطبع الاثار السريانية بمسحة خاصة . من أقدمها كتاب التجلي ( Theophania ) وكتاب شهداء فلسطين من تأليف اوسابيوس اقيصري ، ومقالة لطيطس من بصرى ضد المانويين ، وكلها محفوظة في مخطوطة لندن برقم ١٢١٥٠ وترجع الى سنة ٤١١ ، ثم تاريخ الكنيسة لاوسابيوس أيضا محفوظ في مخطوطة ليننغراد تحمل تاريخ سنة ٤٦٢ . كما قدم هيبا وكومي وبروبا وغيرهم بترجمة كتب تيودورس المصيبي في أوائل اثنى الخامس ان لم يكن في أواخر الرابع ، تلقى منها شذرات قديمة في مخطوطة لندنية برقم ١٤٦٦٩ من القرن الخامس ، ويعني ذلك ان الترجمات الاخيرة هي منذ عهد المؤلف نفسه . وتشتمل مخطوطة لندن رقم ١١٣٨ على تناليد معلمي المدارس ، وشذرات من ترجمة معنا لكتب تيودوروس وديودورس الطرسوسي ( مخطوطة لندن ١٢١٥٦ ، ٨٠ آ - ٨٣ ب ) . ويؤكد عبديشوع الصوباوي في فهرس المؤلفين بأن كتب تيودورس ، وعددها ٣١ مجلدا ، قد نقلت كلها قبل عهد ربولا ، أي قبل وفاة المؤلف ، لكنها ضاعت اثر المشاحنات التي جرت بين نسطور بطريرك القسطنطينية وقورلس بطريرك لاسكندرية ، وتبني مدرسة الرها ، ومدرسة نصيبين ، وكنيسة المشرق ، تعاليم نسطور وتيودوروس . وقد حاول فوبس جرد ما تبقى من آثار تيودورس بالسريانية (٤٠) .

(٤٠) وذلك في الهامش ٣٧ ، ص ١٩ - ٢٠ من كتابه (تاريخ مدرسة نصيبين).  
 اما بشأن فهرس المؤلفين لعبديشوع الصوباوي ( المتوفى سنة ١٣١٨ ) ، فانظر طبعة السمعاني في المكتبة الشرقية ، المجلد ٣ ، ١ ( باللاتينية ) ، وقد قمت بنقله الى العربية والتعليق عليه ، وهو قيد الطبع .

وإذا ما تخطينا الآثار اللاهوتية والكتابية الى الفلسفية ، وجدنا ترجمة سريانية لكتاب العبارة لارسطو ( Hermeneutica ) وانا لوطيقا أو التحليلات الاولى لارسطو ( Analytica Priora ) وايساغوجي فرفوريسوس ( Isagoge Porphyrii ) مع شروح بروبا ( بروبس ) • ويؤكد لنا عبد يشوع ان هيبا وكومي وبروبا هم من مترجمي ارسطو ، وذلك في أوائل القرن الخامس (٤١) •

ويؤشر مجمع افسس ، المنعقد عام ٤٣١ ، مرحلة حاسمة في تاريخ المسيحية في الشرق ، اذ جرى نزاع حول الزعامة الكنسية بين الاسكندرية والقسطنطينية ، راحت فيه انطاكية وكنيسة سلوقية - طيسفون ضحيته ، اذ استغلت فيه الآراء والمذاهب اللاهوتية والفلسفية حججا ، أيام كان من العسير الاخذ بتعددية انكر والتفسير ، فلعبت الالفاظ والمصطلحات والترجمات المختلفة دور تشويش ، ووصل الامر الى تحريم اقوال نسطور واتباعه ، حتى انتصر هذا الفريق نوعا ما في مجمع خلقيدونية عام ٤٥١ • ولا يسعنا المجال ان نأتي على هذه الاحداث المحزنة ، انما يهمننا هنا التأكيد على ان الفكر كان له الدور الكبير في القضية ، الامر الذي يدل على ازدهار الحركة الفكرية في المنطقة عهد ذلك • وقد كان في القلب من المعنعة الناطقون بالسريانية والمراكز والمعاهد السريانية ، اذ سرعان ما تبني فريق منهم المذهب النسطوري - التيودوري التمثل بوحدة المسيح مع طبيعتين واقنومين ، بينما تبني فريق

(٤١) اضافة الى معلومات فوبس ، تاريخ مدرسة نصيبين ، ص ١٥ - ٢٤ ، ودي لاسي 'وليري ، علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب ، ص ٦٨ - ٦٩ ، والفلسفة السريانية ، ١٤ - ٢٢ ، انظر : بومشترك ، تاريخ الادب السرياني . الفصل الاول ، وكذلك :

A. Baumstark, Aristotelss bei den Syrern von V — VIII Jahrhundert, Leipzig 1900 etc.

آخر مذعب الوحدة في الطبيعة أيضا أو في المشيئة ، فأثروا على كنائسهم ، وانشقت كنائس المشرق السريانية الى شقين كبيرين : من سمّوا بالنساطرة ، وهم الكلدان والاثوريون حاليا ، ومن سمّوا باليعاقبة ، وهم السريان الارثوذكس والسريان الكاثوليك حاليا ، وتعاطف الاخرون مع الاقباط والاحباش والارمن ، بينما ترسخت النزعة الاولى في سلوقية - طيسفون ( المدائن ) وما يتبعها من ابرشيات امتدت حتى الهند والصين ومنغوليا وافغانستان وتركستان وغيرها من بلدان . ولقي الاكثر ميلا الى اليونان حلا توفيقيا شجعهم عليه مرقيانوس الملك ، فسمّوا بملكين ، وهم الروم الارثوذكس والروم الكاثوليك حاليا ، بينما نشأت فيما بعد جماعة كنسية تكونت حول دير مار مارون ، فسمّوا بالموارنة<sup>(٤٢)</sup> .

لا نكير لاثر مدرستي الرها ونصيبين فيما يخص الخلاف المذهبي الذي ألمحنا اليه ، فان ربولا اسقف الرها وقف ضد زملائه معلمي المدرسة ، كما بين هيب في رسالته الى ماري سنة ٤٣٣ مفيدا بأن الاسقف ( ربولا ) قد زاغ عن تعاليم الحق<sup>(٤٣)</sup> ، فانقسمت جماعة الرها الى قسمين ، وحرقت كتب تيودورس ، ولم يسلم سوى شرح التوراة وشرح الانجيل<sup>(٤٤)</sup> ، وارسل قورلس . خصم نسطور ، كتابا له ترجمه ربولا الى السريانية وغدا المرجع الاساس مدة من الزمن<sup>(٤٥)</sup> . وتغيرت الامور حين خلف هيبا ربولا على كرسي

(٤٢) عديدة هي الكتب التي تؤرخ هذه الكنائس ، نكتفي بذكر بعض المؤلفين : لوتين ، السمعاني ، اللبس ، ادي شير ، نصري ، تيسران ، اسد رستم ، فيليب طرازي ، افرام برصوم ، جوزيف نصرالله ، جوزيف حذر ، جان فيي . يعقوب الثالث ، اسحق ساكا وغيرهم .

(٤٣)

Mansi, Acta Conciliorum, II, III, p. 39 ; Andreas, Epistula, p. 32 .

(٤٤) اندرياس ، الرسالة ، ٦٤٩ .

(٤٥) فويس ، تاريخ مدرسة نصيبين ، ص ٢٦ .

الرها . ونجدنا هنا ازاء تحركات برصوما مطران نصيبين الذي عقد مجمعا في بيت لافاط ( الاحواز ) عام ٤٨٤ وعمل على قتل بابوي جاثليق كنيسة المشرق ، وامتد نفوذه حتى بلغ بلاد الشام وفلسطين وفينيقيا وجزيرة العرب والبتراء وسيناء ، وكان قد انتصر منذ مجمع افسس غير القانوني المنعقد سنة ٤٤٩ ، وفيه تمّ عزل هيبا وأحل مكانه نونا ، وكان ميالا الى التورلسيين باعتدال ، ثم عاد هيبا فاسترجع كرسي الرها في مجمع خلقيدونية . ولكن سرعان ما قوي اصحاب الطبيعة الواحدة غربي سوريا وفلسطين ومتر ، ثم في سوريا والرها عينها .

### مدرسة نصيبين

تأسست مدرسة نصيبين اثر هجرة اساتذة مدرسة الرها اليها . وقد كان فيها قبل ذلك مدرسة كنسية صغيرة ، كما هي الحال في معظم المدن والقصبات<sup>(٤٦)</sup> . ونصيبين من المدن المشرفة على الطريق الرئيسي بين شمال ما بين النهرين ودمشق .

واختلف العلماء حول تاريخ هذه الهجرة ، فقال بعضهم انها تت سنة ٤٣١ ، وقال آخرون انها عام ٤٥٧ ، بينما يفضل غيرهم سنة ٤٨٩ . والارجح انها حدثت ايام قورا ، أي ليس قبل ٤٧١ . ولعل سنة ٤٨٩ هي سنة تجديد مدرسة الرها ، برحيل استاذها الكبير نرسي الى نصيبين . وقد ذكر انورخون ان الذين رحلوا معه ناهزوا الثلاثائة شخص<sup>(٤٧)</sup> . وتجدر الاشارة هنا الى

(٤٦) بينما يعكس اوليرى الامر ، فيفترض مدرسة في نصيبين اولا . ثم يجعل انتقالها الى الرها بعد سقوط نصيبين عام ٣٦٣ ( علوم اليونان ، ص ٦٤ - ٦٥ ) ، غير ان الحجة في هذا هو لاريب الاستاذ فوبس . الفصل الثاني من تاريخ مدرسة نصيبين .

(٤٧) التاريخ السعدي ، طبعة الباترولوجيا ، ١٣ ، ٥١٠ - ٥١١ : والمجلد لعمر ، طبعة جيسموندي ، ص ٥٢ .

ان تشتت اساتذة مدرسة الرها وتلاميذها عمل على انتشار مدارس عديدة وتقويتها في معظم المناطق الخاضعة لنفوذ كنيسة المشرق (٤٨) .

قصد نرسي نصيبين ، وكان فيها مدرسة صغيرة اسسها ثمعون الجرمقي ، فوسعها . وجذبت شهرته العديدين اليها ، واعانه في عيه برصوما اسقف المدينة (٤٩) . فعدت معهدا ، بل جامعة مرموقة ، قصدها كثيرون من بلاد الشام وفارس ، تسعفهم في ذلك الصداقة التي كانت تربط برصوما وفيروز عاهل الفرس ، وميل هذه المدرسة الى الشرق ، لاسيا بعد ان اغلق الامبراطور الروماني زينون مدرسة الرها .

تعاقب على مدرسة نصيبين بعد نرسي ، كل من الينع ، وقوزبايي ، وابراهيم ويوحنا من آل ربن ، وحنانا الحديابي . كما اثير من المؤلفين يوسف حزايا أو الرائي ، ومار آبا الكبير مصلح كنيسة شرق ، وبولس من دير كمر ماري ، وتوما الرهاوي ، وقيورا ، وايشي ، ور ميشوع ، واشعيا التحلي ، ومسكين العربي ، وميخائيل ، وابراهيم بيه - قوذ ، وبرحذبشا العربي ، وحشا ، وحننا نيشوع ، وبابي الكبير ، وثنيل الشهرزوري ، وبرحذبشا اسقف حلوان ، وايشوعياب الجدالي ، وايشوعياب الحديابي . كما تخرج منها أيضا آفاق الجاثليق ، ويوحنا أسقف بيت سري ، وبولس بن قاقا اسقف الاحواز ، وميخا اسقف لاثوم ، وابشوتا النوي ، ومعظمهم

(٤٨) يشهد بذلك التاريخ المنحول المنسوب الى مشيحا زخا . والمعروف ايضا بتاريخ اربيل ، طبعة منكنا ، وكذلك تاريخ برحذبشا العربي ، وعلة تاسيس المدارس لبرحذبشا اسقف حلوان ، والتاريخ السعدي ، وكلها ضمن سلسلة الباترولوجيا ، باريس .

(٤٩) التاريخ السعدي ، ٢ ، ص ٦٠٨ .

من تلاميذ نرسي ، ولهم كتابات في شتى المعارف والعلوم<sup>(٥٠)</sup> .  
 وكان يسود المدرسة نوع من شركة الحياة ، ويلتزم الطلبة بانعزوبة  
 أثناء الدراسة ، والاقامة المستمرة فيها ، كما وضعت لهم قوانين خاصة تدفعهم  
 الى المثابرة والجد . وقيل ان عدد الطلبة بلغ أحيانا الثمانمائة ، كما في عهد  
 حنانا الحديابي رئيسها . ولم يرض حنانا بعضهم ، فتركوا المدرسة . ومضوا  
 فأسسوا مدارس وديارات في مناطق شتى ، أشهرها دير مار ابراهيم  
 الكسكري في جبل ايزلا والمعروف بالدير الكبير ، ودير بيث عابي في المرج ،  
 وقد أرخ له توما المرجي في كتاب الرؤساء<sup>(٥١)</sup> .

وكانت مدرسة نصيبين ، كمدرسة الرها ، كلية لاهوتية بالدرجة الاولى ،  
 وفيها علوم مكملة ، كالفلسفة ولاسيما المنطق ، واللغة ، والخط ، والموسيقى ،  
 والطقوس ، وبعض العلوم التي تخدم هذه الدراسات . وقد دخلت اصلاحات  
 على قوانين المدرسة في عهد الجاثليق ايشوعياب الجدالي (٦٢٨ - ٦٤٦) ،  
 واستمرت مزدهرة بعد الفتح العربي حتى ضعفت ، فأعطت مجالا لمدارس  
 اخرى ، لا سيما في العصر العباسي . اما اصل قوانينها المعروفة وانتشورة ،  
 فيرجع الى هوشع مطران نصيبين الذي ثبت ٢١ قانونا وضعها نرسي الملقان  
 ويونان كاتب المدرسة عام ٤٩٦ ، وبعد قرن اضاف اليها قوانين اخرى شمعون  
 مطران نصيبين ، ثم قام ايشوعياب الجدالي باجراء اصلاحات عليها<sup>(٥٢)</sup> .

(٥٠) بيان من هذه القائمة السريعة مدى اهمية المدرسة وسعة انتشار العلوم  
 والاداب السريانية في رقعة كبيرة من البلاد .

(٥١) كتاب الرؤساء لتوما اسقف المرج . طبعة بدج ، وترجمة عربية نلاب البير  
 ابونا ، الموصل ١٩٦٦ .

(٥٢) نشر كويباي قوانين مدرسة نصيبين ، وكتب عنها المطران ادي شير  
 امدرسة نصيبين الشيرة ، بيروت ١٩٠٥ ، وقد اعادت مجلة قالا سوريايا  
 طبعا بالافيسيت في العددين ٢٢ - ٣٣ ، ١٩٨٤ ، كما قام آرثر

ولا مناص لنا من التطرق الى مشاهير هذه المدرسة .  
 ولد نرسي عام ٣٩٩ في عين دلبى ( معلثايا - دهوك ) ، وبعد دراسة  
 أولية ، قضى عشر سنوات في دير كفر ماري لدى عمه رئيس الدير . وبعد  
 فترة تعليم قصيرة ، قصد مدرسة الرها ، وزار تيودولوس تلميذ ديودورس  
 الطرسوسي ، بمعية زميله برصوما . وأختير مديرا لمدرسة الرها بعد وفاة  
 قيورا عام ٤٣٧ ، وأدارها سنوات حتى لجوئه الى نصيبين بعد سنة ٤٧١ ،  
 حيث تمكن من اعلاء شأن مدرسة نصيبين ، فعدت بفضلها أكبر مركز ثقافي  
 عرفته المسيحية السريانية المشرقية ، بل المنطقة بأسرها في تلك الايام .  
 ووضع نرسي ٣٦٠ قصيدة ( ميمرا ) شعرية ، احصى منها منكما ٨١ ، جلها  
 في موضوعات دينية ، كتابية ، لاهوتية ، فلسفية ، طقسية . وتوفي بعمر  
 ١٠٣ سنوات عام ٥٠٢ (٥٣) .

أما برصوما مطران نصيبين فقد عقد مجمعا لكنيسة المشرق في بيت  
 لافاط عام ٤٨٤ شرع فيه امورا سببت خلافات ومشاكل ، وله رسائل تذكرها  
 كتب السنهادوسات ( المجمع ) (٥٤) .

ولاليشع بر قوزايي شروح بالسريانية كاملة في اسفار العهد القديم ،  
 وفق الترجمة المسماة بالبسيطة ( فشيظتا ) ، المختلفة عن الترجمة اليونانية

---

فوبس بتحقيق القوانين ونشرها مع ترجمة انكليزية. وللعلامة شابر ايضا  
 بحث في مدرسة نصيبين كان قد نشره منذ سنة ١٨٩٦ في المجلة  
 الاسيوية ، المجلد ٩ .

(٥٣) بشأن نرسي وتلاميذ مدرسة نصيبين راجع تواريخ الادب السرياني .  
 وانظر بشأن تأليف نرسي ما نشره منكما من ميامره في الموصل ، ١٩٠٥ ،  
 وفوبس ، مدرسة نصيبين ، ص ٥٧ - ١٢١ .

(٥٤) قام Gero مؤخرا بتناول حياة برصوما ونشاطه ، ونشر ذلك في  
 جمهرة لوفان عام ١٩٨١ .

(السبعينية) ، وكتابات ضد المجوس والهرطقة • وكان قد خلف نرسي في رئاسة المدرسة وادارها سبع سنوات (٥٤ مكرر) •

وأدار ابراهيم من آل ربن مدرسة نصيبين مدة ستين سنة ، وهو ويوحنا من قرابة نرسي المعلم (ربن) ، وقيل ان عدد تلاميذه بلغ الالف • ونجح في توسيع المدرسة ، بفضل ادارته الحكيمة ، ومع ذلك كان البعض يحاولون الانتقاص منه ومن قيمة المدرسة • وقد فقدت معظم آثاره ، وآثار نسيه يوحنا ، ومعظمها في شرح الكتاب المقدس ، استفاد منها ايشو عدد الحديثي • ليوحنا كتاب تاريخي تناول فيه غزو كسرى لعرب نجران ، وآخر في الطاعون أو لوباء الكبير (٥٥) • ومن التلاميذ في هذا العهد مار آبا الكبير صاحب الاصحاحات والرسائل والقوانين ، وتوما الرهاوي الذي له مقالات في بعض الاعياد -مدال مع الهرطقة ومقالة في دحض التنجيم ، وراميشوع مفسر مدرسة المد ، ويوسف الاهوازي مؤلف كتاب النحو السرياني ومقالة في الاسماء المتشابهة ، وغيرهم (٥٦) •

ودامت مدة رئاسة حنانا الحديابي من سنة ٥٧٢ حتى وفاته عام ٦١٠ ، الا ان تعاليمه دفعت بولس مطران نصيبين الى طرده ايام ابراهيم ، فطاف

---

(٥٤ مكرر) بشأن اليسوع ، انظر ادي شير ، مدرسة نصيبين ، وفوبس . وبشان ترجمات الكتاب المقدس الى السريانية انظر : اوربينا ، باترولوجيا ، ص ٢٢٤ - ٢٢٨ ( بيلوغرافيا ) ، وكذلك :

A. Vööbus, Early versions of the New Testament, Stockholm 195٤ ;

Id., Studies in the History of the Gospel, CSCO, Subs. III, Louvain 1951 .

(٥٥) فوبس ، مدرسة نصيبين ، ص ١٢٤ - ١٢٥ و ٢١١ - ٢٢٢ .

(٥٦) ادي شير ، مدرسة نصيبين ، ص ١٦٩ - ١٧٦ ( طبعة قالا سوريايا ) ، وكتاب السنهادوسات بالنسبة لاعمال مار آبا الجمعية .

حانا في البلاد ، ثم عاد الى نصيبين ، وما لبث ان تسلم ادارة المدرسة يعد ايشوعيا ب الارزني و ابراهيم النصيبيني ، اللذين دامت رئاستهما اقل من ثلاث سنوات . وقال ماري في مجدله ان عدد تلاميذ حانا بلغ الثمانمائة ، وقيل اقل . وسبت تعاليمه سجسا في كنيسة المشرق ، فقد قال بالقدر وانكر قيامة الاجساد والدينونة والعقاب الابدي ، كما نسب اليه بابي آراء اخرى يبدو انه لم يأت بها ، انما ابتعاده عن تعاليم تيودورس المصيبي بشأن الاتحاد في المسيح جعل الآخرين ينهضون ضده ، وقد تبعه في ذلك شهدونا واشعيا التحلي . مهما يكن من امر فان غريغوريوس الكسكري مطران نصيبين حرم حانا ، بينما دعمه سبريشوع الجاثليق ، فشق ذلك على تلاميذ المدرسة ممن كانوا ضد حانا ، فخرجوا من المدينة ، وكان عددهم نحو ثلاثمائة نفر ، فقصد بعضهم دير مار ابراهيم الكسكري ، وآخرون بلد ( اسكي موصل ) ، ففتح لهم اسقفها مرقس مدرسة علموا فيها ، وكان ذلك سنة ٥٨٢ ، ومن المشاهير ايشوعيب الجدالي وبرحذبشا العربي وايشوعيب الحديابي وميخائيل الملفان وبولس المفسر .

ومنذ ذلك الحين انحط مستوى مدرسة نصيبين ، و اراد حانا تدارك الامور ، فاجرى تعديلات على قوانين المدرسة ، ثبتها شمعون مطران نصيبين الجديد ، الا انها لم تنف بالغرض . وكانت تآليف حانا كثيرة جدا ، جلها في تفسير الاسفار المقدسة وشرح الاسرار وقصائد في الاعياد لم تصلنا منها سوى مقالتين في الطلب ( الباعوثا ) وجمعة الذهب (٥٧) .

وتؤكد مرة اخرى بان الفكر الذي ساد في الرها ونصيبين مشرقية متأثر بالهلينية ، وقد كان له اثر كبير على الفكر البيزنطي ، اذ تكشف

(٥٧) فوبس ، ص ٢٤٢ - ٢٧٥ .

الدراسات يوما بعد يوم عن ثروة طائلة ، رغم فقدان معظم النتاج الثقافي بسبب الخلافات والمشاحنات والحروب ، ويتضح يوما ان الناطقين بالسريانية لم يكونوا نقلة وحسب ، اذ قاموا بوضع مصنفات فكرية وعلمية ، كما دبجوا شروحا وتفسير واختصارات وجوامع ، تم كلها عن ابداع ورقي . وما استعراض هاتين المدرستين سوى تدليل على الاوج الذي بلغته الثقافة السريانية ، واغنت به المنطقة والعالم ، فقد خلقت مدرستا الرها ونصيبين جيلا ملا من الابدان والاعلماء ، ومكتبة فكرية غنية بالمعرفة ، في فترة مبكرة بحث يمكن اعتبارهما رائدتين عظيمتين .

لم يقتصر نشاط هذين المركزين وغيرهما على المعرفة والعلم ، بل تعداه الى سائر مجالات الحياة العمرانية ، الفنية ، الصحية وغيرها . فان اسقف الرها نونا اقام يمارستانا في المدينة في اواسط القرن الخامس قرب بوابة شمش . ونلقى نافورات اسماك في كل من الرها ، وحران ، وتدمر ، ومنبج . ويسمي مار افرام مدينة الرها « ام الحكمة . . والشفاء » في اناشيده النصيبينية . وكان جبرائيل بن روفينا مطران نصيبين منكبنا على علم الفلك والتنجيم . وقام ابراهيم ربن بتشييد ابنة كثيرة ابان رئاسته لمدرسة نصيبين . . . (٥٨)

#### مدرسة جنديسابور

بيت لافاط او جنديسابور ، عاصمة عيلام او الاحواز ، قرية من السوس ( سوسه ) مشتى ملوك الفرس سكنها العديد من الاسرى الذين وقعوا في أيدي الفرس من جيش فالريان سنة ٢٥٨ م ، اذ كلفوا بانشاء جسر كبير على نهر الدجيل ، واقامة نشآت اخرى بصفتهم من المهرة ، فاكرمهم سابور الاول

(٥٨) سيكال ، اديسا . ص ٧١ ؛ ادي شير ، مدرسة نصيبين ، ص ١٨٤ .

واسكنهم جنديسابور ومدينتين اخريين ، وابع لهم ممارسة شعائرهم الدينية وبنية كنائس ، ويفيدنا التاريخ الكنسي بانه كان في جنديسابور ، كما في اماكن اخرى ، كنائس تجرى فيها الطقوس والشعائر بالسريانية ، وكنائس باليونانية لهؤلاء الروم ، كما في مدينة بارانيشهر<sup>(٥٩)</sup> ، حتى أهملت اليونانية واصبحت السريانية وحدها لغة التعليم<sup>(٦٠)</sup> . وسرعان ما غدت جنديسابور مركزا ثقافيا مرموقا ، اذ ابدى سابور عناية كبيرة بجمع الكتب العلمية ، اليونانية والهندية ، ونقلها الى الفهلوية . وكان دورسوس السرياني واحدا من هؤلاء النقلة<sup>(٦١)</sup> . واقتضى سابور الثاني أثره ، وكذلك كسرى انوشروان . ونوه هنا ايضا بان الاهالي كانوا يتكلمون برطانة خرمستان<sup>(٦٢)</sup> ، كما كان ( السورث ) شائعا في معظم اوساط من نسميهم عادة بالناطقين بالسريانية .

وتريد احدي الروايات ان يكون احد اسرى روم بطريك انطاكية ديمتريانس نفسه ، في القرن الرابع ، كما ان البطريك اثناسيوس الجمال ( ٥٩٥ - ٦٠٤ ) قدم المشرق لتدشين كنيسة شيدى كسرى الثاني لزوجته شيرين<sup>(٦٣)</sup> ، وكلتا الحادثتين تدلان على وجود علاقة ثقافية وكنسية بين المشرق والغرب اليوناني والبيزنطي . وقد كان كسرى انوشروان ( ٥٣١ - ٥٧٨ ) شديد الاعجاب بالثقافة اليونانية ، رغم منازعته مع الروم ، لذا نراه يرحب بالفلاسفة والعلماء الذين تشتتوا اثر اغلاق جتنيان مدرسة آثينا ،

(٥٩) التاريخ السعدي ، ٤ ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

(٦٠) اوليري ، علوم اليونان ، ص ٩٥ .

(٦١) الفهرست لابن النديم ، ص ٣٤٨ .

(٦٢) ابن حوقل ، صورة الارض ، ٢ ، ص ١٠٩ .

(٦٣) بحثي ، ملامح خليجية ثقافية ، ص ٣٣ و ٣٦ - ٣٨ ، وكذلك :

J. M. Fiey, Communautés syriaques en Iran et en Irak, London

( Variorum ) 1973, III, p. 227 - 234 .

فقد اسكن سبعة من فلاسفة المذهب الافلاطوني الجديد في قصره عام ٥٢٩ • واحتضن اكاسرة الفرس اساتذة المدارس السريانية المشرقية ، عندما اغلق زينون مدرسة الرها • وفي ايام هرمزد الرابع ابن كسرى انوشروان (٥٧٩ - ٥٩٠) يقدم لنا التاريخ الرهاوي طيمثاوس النصيبي كرئيس للطباء ، وجبرائيل السنجاري رئيس اطباء دروستباد الذي فصد شيرين فشفاهها ، ونال حظوة لدى الملك<sup>(٦٤)</sup> فسعى في بناية الكنيستين المذكورتين أعلاه •

قامت في جنديسابور مدرسة شبيهة بمدرسة الاسكندرية ، عرفت فيها مصنفات ابقراط وجالينوس ، ومؤلفات هندية • فقد ارسل الملك كسرى الاسف بود الى الهند • ويعزى الى بود كتاب الف ميغن Alpha to Mega وشرح كتاب الاول من الطبيعة لارسطو ، وترجمة سريانية لكتاب هندي عرف فيما بعد بكتاب ( كلية ودمنة )<sup>(٦٥)</sup> • ونلقى في هذه الفترة ترجمات فارسية لبعض كتب ارسطو وافلاطون •

وعاش بولس الفارسي ( المتوفى سنة ٥٧١ ) في عهد كسرى ، ويقول عنه ابن العبري انه كان متفوقا في الابحاث الفلسفية والكنسية ، فكتب مقدمة لجدل ارسطو ( الديالكتيكا ) ، وله بحث في المنطق أهداه الى كسرى<sup>(٦٦)</sup> •

وهكذا التقت في جنديسابور الحكمة المشرقية القديمة بالفكر الهندي واليوناني والفارسي والسرياني ، ونشطت العلوم فيها ، وصار الاهتمام

(٦٤) التاريخ الرهاوي او التاريخ الصغير ، ترجمة لاب د. بطرس حداد ، بغداد ١٩٧٦ ، ص ٥٨ و ٦٥ ، وكان كويدي قد نشره في جمهرة لوفان مع ترجمة لاتينية •

(٦٥) انظر : فهرس عبيدشوع ، ص ١٥٨ ، طبعة السمعاني ، وانظر : رايت ، مختصر تاريخ الادب السرياني ( بالانكليزية ) ، ص ١٢٤ •

(٦٦) مخطوطة المتحف البريطاني رقم ١٤٦٦٠ ، نشرها لاند ، ص ٤ ، ص ١ - ٣٢ . انظر : بومشترك ، تاريخ الادب السرياني ، ص ١٢١ •

بزراعة قصب السكر حول المدينة ، كما قامت فيها مدرسة فلكية ومرصد ، وقد كانت دراسة الرياضيات جزءا من علم الفلك (٦٧) . واشتهرت جنديسابور ببيمارستان لمعالجة المرضى وتعليم الطب ، سوف يبرز فيه آل بختيشوع ، وآل ماسويه . وكان الاعتماد على كتب جالينوس بالدرجة الاولى .

### مدرسة ميافارقين

كانت ميافارقين ، او ميافرقاط ، الحد الفاصل بين البيزنطيين والساسانيين ، وقد سميت مدينة الشهداء لكثرة الشهداء فيها ولجمعها رفات العديد منهم وسيرهم . ويمر بميافارقين الطريق الى دارا ونصيبين وقرقيسيا حتى خليج العقبة . وقد برز فيها ماروثا اسقفها في أواخر القرن الرابع ، ارسله اركاديوس ( ٣٩٥ - ٤٠٨ ) اول اباطرة البيزنطيين الى ملك الفرس يزدجرد الاول ، ثم عاد فارسله تيودوسيوس الثاني الى العاهل نفسه ، فنقل الى كنيسة المشرق التي كان كرسيها في سلوقية - طيسفون قوانين مجامع كنيسة الغرب ، لاسيما مجمع نيقية المنعقد سنة ٣٢٥ ، واشترك مار ماروثا في مجمع اسحق عام ١٠ : (٦٨) ، وقد نقل كتاب الشهداء او القسم الاول من سير واعمال شهداء اشرق (٦٩) وينسب اليه شرح لدياطرون ططيانس ، كما قام في ميافارقين علماء آخرون (٧٠) .

(٦٧) اوجري ، ص ٥٠ .

(٦٨) السنهادوسات ، طبعة شابو ، باريس ١٩٠٢ ، ص ١٧ - ٣٦ (النص) ، ٢٧٥ - ٢٣٣ ( الترجمة الفرنسية ) :

Synodicon Orientale, ed. J. B. Chabot, Paris 1902

(٦٩) طبعة الاب بولس بيجان في سبعة مجلدات ( وقد اعيد طبعتها بالاوفسيت في هيلديسهايم ) .

(٧٠) كيو وآثور ، للمطران ادي شير ، ج ٢ ، بيروت ١٩١٣ ، ص ٩٩ - ١٠٣ .

## مدرسة مرو

واذا ما ابتعدنا الى مرو في خراسان ، فلقي مار آبا الجاثليق ( ٥٤٠ - ٥٥٢ ) تلميذ مدرسة نصيبين ، ينصب عليها اسقفا نيودور ، وذلك سنة ٥٤٠ . وهذا تلميذ سرجيس الرسعني ، وكمعلمه من دارسي منطق ارسطو . وكان جبرائيل اخو تيودور المروزي اسقفا على هرمزد اردشير وضع شروحا على الكتاب المقدس ورسالة ضد المانويين واخرى ضد المنجمين<sup>(٧١)</sup> . وقامت في مرو « مدرسة لاهوتية وفلسفية مهمة ، برز فيها تيودوروس المروزي ٠٠٠ ثم ايليا مطران مرو » ، كما انها انجبت عدة علماء معروفين<sup>(٧٢)</sup> .

## مدرسة حران

تريد الرواية الشائعة بانتقال الطب والعلوم من الاسكندرية الى انطاكية في عهد عبد العزيز ان تكون حران حلقة الوصل ، او ان لها على الاقل دورا ذا شأن في ذلك<sup>(٧٣)</sup> . وحران بين الرها ورأس العين ، وعاصمة امارة فدان آرام ، ومركز آرامي ثقافي ، سكنها يونانيون في عهد الاسكندر ، فاتصلت حضارتها المشرقية القديمة ، بما فيها النظريات الرياضية والعلوم الفلكية ، بتعاليم المذهبين الفيثاغوري الجديد والافلاطوني المحدث . جل مشاهيرها من الناطقين بالارامية - السريانية ، سوف يبرز من بينهم سلم صاحب بيت الحكمة ببغداد ، وثابت بن قره ، وسانان ابنه وغيرهم . ولم يعتنق

(٧١) بومشترك ، تاريخ الادب السرياني ، ص ١٢٢ ؛ السنهادوسات ٦٨ - ٩٥ ، ٣١٨ - ٣٥١ ، ٥٤٠ - ٥٦١ - وقد نشر بيجان حياة مار آبا ، وكتب عنه لابور باسهاب .

(٧٢) بحثي ، يوحنا بن حيلان معلم الفارابي في المنطق ، مجلة بين النهرين ٣ ( ١٩٧٥ ) ، ص ١٢٢ .

(٧٣) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

الحرانيون المسيحية بل بقوا على دينهم القديم (٧٤) .

### مركز الحيرة

وبالسريانية ( حيرتا ) أي المخيم أو المعسكر ، جنوب العراق ، وعاصمة المناذرة . كان يسكنها عرب ونبط واقلبيات ، وكانت ملتقى حضارات قديمة ، اشتهرت بقصورها ، وفيها كتب التلمود البابلي في القرن الخامس الميلادي ، وربما منها انتقلت مؤثرات ارامية - سريانية الى جزيرة العرب ، وقد ضعف شأنها حين بنيت الكوفة على مقربة منها ، ولكنها ستجذب اسحق وابنه حين أعظم مترجم عرفه التاريخ . كما سينطلق منها رهبان يشيدون ديارات حتى في نينوى كايليا الحيري باني دير مار ايليا المعروف بدير سعيد بجوار الموصل . وايليا هذا تلميذ مدرسة نصيين ، وكان قد تروض في الاسفار البيعية في كنيسة الحيرة ، وترهب في دير مار ابراهيم الكسكري سنة ٥٧١م (٧٥) .

### مركز بصرى

احدى عواصم الغساسنة ، منافسي المناذرة . وبينما كان المناذرة أقرب الى تراث المشرق ، تأثر الغساسنة بالبيزنطيين بدرجة كبيرة . وكانت بصرى ملتقى شبكة طرق رومانية ، وسوقا تجاريا نبطية . واتخذ الغساسنة عدة عواصم في فلسطين والاردن وأطراف الشام ، وشيدوا الاديرة وأقاموا المدارس ، وكانت مراكزهم تجذب شعراء الجاهلية ، فتسربت منها ، مثلما تسربت من الحيرة ، الى العربية ألقاظ ارامية - سريانية . واستعان المسلمون بالغساسنة

(٧٤) يوحنا بن حيلان ، ص ١٣١ - ١٣٢ . السريان نزغلول . ص ٥١ - ٥٥ .

(٧٥) بشأن ايليا الحيري وديره انظر : دير مار ايليا ، مجلة بين النهرين ٢

( ١٩٧٤ ) ، ص ٢٦٨ - ٢٧٣ . وسيأتي ذكر حين ابن اسحق فيما يلي .

لبناء الجوامع والمساجد والقصور في عدة مدن سورية<sup>(٧٦)</sup> .

### مدرسة رأس العين

لو لم يتم في رأس العين عدا سرجيس لحق لها ان تفخر بمكانة مرموقة في تاريخ الثقافة والعلوم . درس سرجيس فيها اولاً ، ثم في الاسكندرية ، ونقل العديد من كتب الفلسفة والطب ، من اليونانية الى السريانية وهو ما يزال شاباً ، فجاءت ترجماته ركيكة ، كما يؤكد حنين في رسالته الى علي بن يحيى<sup>(٧٧)</sup> . اشتملت الكتب التي وضعها ونقلها سرجيس على الطب ، أشهرها مجاميع الاسكندرانيين وكتب ابقراط وجالينوس ، وكتب المنطق لارسطو ، « مع سذاجتها وتفاهتها فقد كانت كفية لنشر العلوم الطبية الاغريقية واذاعتها في غربي آسيا لاكثر من قرنين »<sup>(٧٨)</sup> . فـسرجيس أهم من نقل مصنفات يونانية الى السريانية حتى أيامه ، لاسيما في مجال العلوم والفلسفة<sup>(٧٩)</sup> ، كما كان رئيس أطباء رأس العين ( تيودوسيو بوليس ) ، طلق اللسان ، قام بشرح الكتب المنحولة باسم ديونيوس الاريوخاغي في الطغمتات والمراتب السماوية والكنسية وأسماء الله وناهوت التصوفي ، اعتمدها معارضو المجمع الخلقيدوني وازافوا اليها رسائل منحولة روجت تعاليم سويريوس الانطاكي في سوريا<sup>(٨٠)</sup> . اتخذ بطريك افرام الانطاكي رسولا للوحدة

(٧٦) فيليب حتي ، تاريخ العرب ، مطول ، ط ٤ ، ج ١ ، ص ١٥١ .

(٧٧) طبعة برجشتراسر ، ليبسيك ١٩٢٥ ( وقد اعاد طبع هذه الرسالة

الدكتور عبدالرحمن بدوي في : دراسات ونصوص ، بيروت ١٩٨١ ) .

(٧٨) ماكس مايرهوف ، العلم والطب ، في : تراث الاسلام ، ط ٣ ، بيروت

١٩٧٨ ، ص ١٧٢ .

(٧٩) بحثي ، سرجيس الراسعيني . مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد ٣٢

( ١٩٨١ ) ، الجزء آن ٣ - ٤ . ص ٢٦٥ - ٢٨٨ .

(٨٠) اوليري ، ص ١٠٥ .

بين الاطراف المتنازعة لاهوتيا ، فأوفده الى اغايطس بابا روما ، فاقنع هذا بالمجيء الى القسطنطينية للتباحث مع امبراطور الشرق يوستينيانس الصغير ، وقد توفي مرجيس في القسطنطينية عام ٥٣٦ م . له خطاب في الايمان ، وحوار في النفس ، وشروح لمقولات ارسطو ، وجدله ، والانا لوطيقا الاولى ، والكل ، والسلب والايجاب ، وعلل العالم ، عدا الترجمات العديدة .

### مدارس ومراكز اخرى

لم يهتم الفرثيون والساسانيون بالعلوم اهتمام اليونان . ولم يفرض الفرس لغتهم على أهالي اناطق التي خضعت لهم ، فكان ان نشطت السريانية ، والفضل الكبير في ذلك ثبنيها من قبل جملة كنائس ، منها كنيسة المشرق التي وحدت صفوفها في شخص جاثليق سلوقية - طيسفون في القرنين الثالث - الرابع للميلاد . وانتشرت في طول البلاد وعرضها ، وكانت تقيم المدارس بجانب الكنائس والاديرة (٨٠ مكرر) فقامت في ساليق مدرسة حذت حذو مدرستي الرها ونصيبين ، وقد حاول مار آبا اصلاحها ، الا انه اصطدم بالمعارضة . وكانت مدارس الكنائس عادة اشبه بالكتاتيب ، يتعلم فيها الصغار مبادئ القراءة والكتابة والدين والاخلاق والطقوس وبعض العلوم الاولية . وليس بنادر ان يبرز في بعضها ، كما في الديارات ، معلمون كبار ومؤلفون شهرون . كما كانت الكنيسة تعنى باقامة مستشفيات لمعالجة المرضى (٨١) .

وما يزال ثمة غموض يكتنف تشييد مدرسة كوشي ، قرب سلوقية - طيسفون . وقد كشفت خريات متاخرة عن بقايا كنيسة يفيدنا التاريخ انها

(٨٠ مكرر) ذكر ياقوت اديرة عديدة في معجم البلدان ، وكذلك آخرون ، وكان في كل دير مكتبة ومدرسة .

(٨١) دفال ، اديسا ، ص ٤ ، لابور ، ص ٥ ، رفائيل بابو اسحق ، مدارس العراق قبل الاسلام . بغداد ١٩٥٥ ، ص ٣٩ - ٤٥ .

• موقع كرسي بطريركية المشرق (٨٢)

وقامت في دير قنى ( قرب العزيزية مدرسة ) مدرسة عرفت باسم ( اسكول مار ماري ) ، لم تقتصر الدراسة فيها على العلوم الدينية وحدها ، انما شملت المنطق والفلسفة . ومن خريجها المتأخرين ابو بشر متى بن يونس رئيس المنطقيين . ودرس فيها ايضا الراهب عبدا ( عديشوع القناني ) ، الذي أنشأ ديرا في قرية قنى ، ألحقت به مدرسة بلغ عدد اساتذتها الستين ، وذلك منذ أواخر القرن الرابع ، بحيث دفع مؤلف التاريخ السعردى الى ان يقول مبالغ في الامر « واستغنى من يريد التعلم باسكوله عن الخروج الى الره » (٨٣) . وتخرج من هذه المدرسة عديشوع من ميسان في أواخر القرن الرابع ، ومار أحا الجاثليق المتوفى سنة ٤١٥ ، وهو احد جامعي سير شهداء الانطهاد الاربعيني ( ٣٣٩ - ٣٧٩ ) وكاتب سيرة استاذه عبدا . ومن خريجها ايضا الجاثليق يبالاها الذي سار بامر يزدجرد الى القسطنطينية لعقد الصبح مع تيودوسيوس الثاني وأفلح في مهمته ، وشيد ديرا في منطقة بابل ، وآخر على شاطئ دجلة بلغ عدد رهبانه الاربعمئة كانوا يتلون صلواتهم بعدة لغات : السريانية واليونانية واللاتينية والقبطية ، واقاموا فرقتين تلازمان العناية بالمرضى وخدمة الغرباء في ماواهم ( كسينودوكيون ) . وعقد يبالاها مجعاً في المدائن عام ٤٢٠ سن فيه جملة تشريعات قانونية (٨٤) . واستولى

(٨٢) بشأن تاريخ كنيسة المشرق ( سلوقية - طيسفون ) انظر خاصة :  
E. Tisserant, Nestorienne ( Eglise ) , DTC, XI, 1, 1931, coll. 157 -

323 ;

J. M. Fiey, Jalons pour une histoire de l'Eglise en Iraq, CSCO 310,  
Subs. 36, Louvain 1970 .

(٨٣) التاريخ السعردى ، ١ ، ص ١٩٥ .

(٨٤) السنيادوسات طبعة شابو ، النص ٣٧ - ٤٢ ، والترجمة ٢٧٦ - ٢٨٤ .

الخراب على مدرسة مار عبدا ابان اضطهاد فيروز ( ٤٥٧ - ٤٨٤ ) الذي أمر باستئصال شافة الكنائس والاديرة (٨٥) .

وازدهر في عهد الساسانيين والعباسيين ، غربي بغداد ، دير كليثوع المعروف بدير الجاثليق ، وذاع صيت مدرسته التي كان يكمل فيها الدراسة الكثيرون ممن تقلدوا مناصب كنسية مرموقة (٨٦) .

وذاع خبر دير مار فثيون منذ القرن الخامس ، ويقع اطراف قرية سونايا، المحلة العتيقة من بغداد ، وفيه مدرسة لاهوتية وعلمية (٨٧) .

اما أعظم مدارس المدائن ، فهي التي شادها الجاثليق مار آبا ( اتوفى سنة ٥٥٢ ) ، نشطت بعد انضمام العديد من اساتذة مدرسة نصيبين اليها . من اساتذتها ايوب ( المتوفى نحو ٥٨٢ ) ، وايشى ( اواخر القرن السادس ) ، والجاثليق غريغور ( المتوفى سنة ٦٠٩ ) الذي عقد مجمعا كنسيا عام ٦٠٥ فيه جرى التاكيد على ضرورة قبول تعاليم تيودورس ، ضد حانا الحديابي (٨٨) . ونبغ كذلك الجاثليق صليبا زخا المتوفى سنة ٧٢٨ ، وسبريشوع متران باجرمي من القرن السابع وآخرون .

واشتهر قرب ساليق ( سلوقية ) سمعان اسقف بيت ارشام ، اتوفى سنة ٥٤٨ ، وكان متبحرا بمنطق ارسطو وضليعا بالجدل ، جاب بلاد بين النهرين يجادل النساطرة واتباع اوطيخا والمانويين حتى لقب بالمجادل الفارسي، فهو من المدافعين عن مذهب الطبيعة الواحدة في بلاد فارس (٨٩) ، زار احيرة

(٨٥) المجدل لمارى ، طبعة جيسموندى ، ص ٤٢ .

(٨٦) كوركيس عواد ، ديارات بغداد القديمة ، مجلة مجمع اللغة السريانية ، المجلد ٣ ( ١٩٧٧ ) ، ص ٩٣ - ١٠٠ .

(٨٧) عواد ، ديارات بغداد القديمة ، ص ١٠٩ - ١١٣ .

(٨٨) بشأن هولاء ، انظر كتب تاريخ الادب السرياني ، وكتب تاريخ كيسة المشرق ، وفوبس ، ٢٤٣ - ٢٧٥ .

(٨٩) اوليرى ، ص ١١٨ .

والقسطنطينية عدة مرات ، ومات في المدينة الاخيرة وهو يتبادل الرأي مع الامبراطورة تيودورة ، وكتب جملة رسائل ، سلمت منها اثنتان ، يطلعنا في احدهما بأسلوب تهكمي على قصة ظهور المبدأ النسطوري ، بينما تسرد الثانية خبر اضطهاد مسيحيي نجران على يد الملك اليميني اليهودي ذي نواس عام ٥٢٣ (٩٠) .

وانجبت منطقة كسكر قرب واسط مشاهير ابراهيم الكسكري ، المتوفى سنة ٥٨٨ ، مجدد الرهبانية في كنيسة المشرق ، وصاحب القوانين الكنسية . دير ، الملقب بالكبير ، في جبل ايزلا قرب نصيبين ، من اشهر الديارات واعظمها ، انجب فقهاء وادباء كثيرين (٩١) .

ودرس غريغور مطران نصيبين ، المتوفى سنة ٦١٢ . في سلوقية ونصيبين ، وعلم في حزة ، وأسس في كسكر مدرسة كبيرة . وله كتب تاريخية ودينية (٩٢) .

وليس لنا ان نعتمد ( تاريخ اربيل ) الذي اتحه الفونس منكنا باسم مشيحا زخا ، وفيه شواهد على ازدهار الديارات والمدارس في منطقتي حدياب ونيوى . وثمة مصادر تؤيد ذلك ، ككتاب الديورة ليشوعد ناح البصري ، والرؤساء لتوما المرجي ، وحياة يوسف بوسنايا تاليف تلميذه ابن كلدون ،

(٩٠) البطريك افرام برصوم ، اللؤلؤ المنثور . ط ٣ . عداد ١٩٧٦ ، ص ٢٥١ - ٢٥٢ .

(٩١) بشأن الرهبانية و ابراهيم الكسكري ، انظر :

A. Vööbus, History of Ascetism in the Syrian Orient, I - II, CSCO, Subs. 14, 17, Louvain 1958 et 1960 ; Id., Syriac and Arabic Documents, Stockholm 1960 ; J. M. Fiey, Jalons pour une histoire de l'Eglise neen Iraq, chap. V.

(٩٢) اوربيننا ، باترولوجيا ، ص ١٤٩ .

وقصة الربان برعيتا وغيرها من مصنفات (٩٣) .

ومن مشاهير هذه الاديرة والمعاهد سر كيس وبولس تلميذا مار آبا الكبير . فقد شرح سر كيس اسفار الانبياء ارميا وحزقيال ودانيال ، اما بولس النصيبيني فعلم في مدارس اربيل اكثر من ثلاثين عاما ، وسار عام ٥٣٢ الى بيزنطية ، بدعوة من الملك يوستينيانس ، ليلقي محاضرات فلسفية وشروحات كتابية على جماعة البلاط ، وللتجادن في المسائل الدينية التي جمعت في كتاب محفوظ في مخطوطة لندنية برقم ١٤٥٣٥ ، وله بحث مقتبس من تعاليم ديودوروس هو بمثابة مدخل الى الكتاب المقدس ، وآخر في ضوابط الشريعة الالهية (٩٤) .

ونلقى دير مار متى في جبل متلوب في نينوى ، تأسس في القرن الرابع ، وبلغ عدد رهبانه زهاء الالف ، وانجب بطاركة ومفارنة واساقمة عديدين ، منهم ماروثا التكريتي ، المتوفى سنة ٤٩٠ : المولود في شزاق قرب بلد . درس في عدة مدارس مشرقية ، وعاش عشر سنوات في دير مار زكي ، وقفل الى دير مار متى حيث علم اللاهوت حتى اتخابه مفريانا على تكريت . كتب عن تاريخ النسطورية في بلاد المشرق على يد برصوما مطران نصيبين ، وله موعظة كما تنسب اليه نافورة قداس (٩٥) .

وأسس ابراهيم التنفري عدة مدارس في حدياب في اواسط القرن السادس ، بعد ان عاش في صعيد مصر ردحا من الزمن ، ووضع تآليف في

(٩٣) فوبس ، تاريخ التصوف ، والفصل الخامس من تاريخ كنيسة العراق للاب فيي ( الهامش ٩١ ) .

(٩٤) فوبس ، وثائق سريانية وعربية ( الهامش ٩١ ) .

(٩٥) اوربينا ، ص ١٧٥ .

الحياة الرهبانية والتصوف (٩٦) .

وولد سهدونا في هلمون ( نوهديرا - دهوك ) ودرس في مدرسة نصيين ، ثم اعتزل في جبل ايزلا ، واختير اسقفا على ماحوزا ( باجرمي ) نحو سنة ٦٤٠/٦٤٥ ، وابتعد بسبب افكاره المناوئة لنسطور ، فقضى حياته بالزهد ، ووضع كتابات روحية ونسكية نشرها بيجان وده هاليه (٩٧) .

واشتهر في العهد عينه اسحق النينوي الذي طبقت شهرته الآفاق ، فترجمت آثاره التصوفية واللاهوتية الى اليونانية والقبطية والعربية واللاتينية . أصله من قطر ، واختاره غريغور الجاثليق ( ٦٥٨ - ٦٨٠ ) اسقفا على نينوى ، لكنه ما لبث ان عاد الى الحياة الرهبانية في السوس ، ثم في دير الربان (٩٨) . لكنه ما لبث ان عاد الى الحياة الرهبانية في السوس ، ثم في دير الربان سابور (٩٨) .

دير الربان سابور :

لعله « دير سير » الذي وصفه الشابشتي في « الديارات » ( ط ٢ ص ٥٤ - ٦١ ) . وياقوت الحموي في « معجم البلدان » ( ٢ ] ليسك ١٨٦٧ [ ص ٦٦٦ ) : وابن فضل الله العمري في « مسالك الأبصار » ( ١ : ٢٧٨ - ٢٨٠ ) .

ولم كذلك نجم يوسف الرائي ( حزايا ) في منتصف القرن السابع .

(٩٦) بومشترك ، ص ١٢١ ، اوربينا ، ص ١٣٦ .

(٩٧) A. de Halleux, Oeuvres spirituelles ( Sahdona = Martyrios )

CSCO 86, Louvain 1960, 87 (1960); Id., La vie mouvementée d' un' hérétique de l'Eglise nestorienne, OCP 24 ( 1958 ), p. 93 - 128. Cfr. : OCP 23 ( 1957 ) , p. 5 - 32 .

(٩٨) انظر ما نشره له الاب بيجان ، ليسيك ١٩٠٩ ، وايضا :

J. B. Chabot, De S. Isaac Ninivite vita, scriptis et doctrina, Paris 1892 .

ترهب في دير الانبا صليبا ، ثم قي دير مار بسيميا ، واخيرا في دير الربيان بختيشوع . وضع تاريخا وكتاب مختارات اسماء « فردوس المشاركة » على غرار « فردوس المغاربة » . وله شروح وخطب وأقوال رهبان مشاهير ، منهم اواغريس كما في مخطوطة سعرد ١٠٧٨ ، وقد حفظت لنا رسالتان من تأليف نشرهما منكننا . وقد أتهم بقوله بنوجود المسبق للانفس وعدم جدوى الصلاة اللفظية والعمل اليدوي (٩٩) .

وأسس ميخائيل الملقب برفيق الملائكة ديراً بجوار الموصل في المائة الرابعة للميلاد ، قامت فيه مدرسة نبغ فيها علماء ومؤلفون (١٠٠) . وفي اواسط القرن السابع أسس مار كبرييل (جبرائيل) ديراً بجوار الموصل عرف باسمه وباسم راهب آخر يدعى ابراهيم . واشتهر بلقب « الدير الاعلى » ، اذ قامت فيه أكبر عملية تنظيم لطقوس كيسة المشرق وذلك بفضل مدرسته « أم الفضائل » ، ومن علمائها في القرن العاشر عمانوئيل برشماري صاحب الهكساميرون (١٠١) ، وللجاثليق بشوعيب الحديابي (المتوفى سنة ٦٥٧/٦٥٨) له يد في الاصلاحات الطقسية التي تحمل اسم الدير الاعلى ، وايشوعيب هذا تلميذ يعقوب مؤسس دير بيت عبي ، قرب عقرة ، وتلميذ مدرسة نصيبين ، صار اسقفا على نينوى ، مطرانا على حدياب ، ثم جاثليقا لكنيسة المشرق منذ سنة ٦٥٠ ، وله عدة رسائل نشرها روبنس دفال (١٠٢) .

وأشتهرت أية واحدة بمدرستها وأديرتها ، فنبغ البطريرك اثناسيوس

(٩٩) بومشترك ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(١٠٠)

J. M. Fiey, Assyrie chrétienne, II, Beyroth 1966, p. 660 - 672 .

(١٠١) كتابي ، الدير الاعلى وكنيسة الطاهرة مريم ، الموصل ١٩٦٩ .

(١٠٢)

R. Duval, CSCO, tex., 1904, vers. lat. 1905 : Epistulae

البلدي المتوفى سنة ٦٨٦ الذي قرأ على ساويرا سابوخت في دير قنسرين ، ونقل الأيساغوجي وكتابا فلسفيا آخر ومؤلفات غريغوريوس النزينزي من اليونانية الى السريانية (١٠٣) . واحتضنت مدرسة بلد بعض تلاميذ مدرسة نصيين بعد ان تم غلقها ، أهمهم : برحدشبا عربايا ( العربي ) صاحب التاريخ الذي يبدأ بالقرن الثالث وينتهي بالسادس وقد نشره نو (١٠٤) . وقامت بجوار بلد مدرسة شورزاك وفيها درس ماروثا التكريتي عام ٥٦٥ ، ونلقى دير سرجيوس الناسك ، المعروف بالدير المعلق فوق جبل اجرد يعرف بجبل بطحان جنوبي ، أنشئ منذ القرن السادس ، ودير كنوشيا الى الجنوب الغربي من بلد ، وكنيسة مار سرجيوس التي شيدها احودمه في السنوات ٥٦٧ - ٥٨١ ، ومدرس نسطورية كان استاذها ابو مالك في الفترة المذكورة وهو الذي أسس في وقت لاحق مدرسة الشهادة في نصيين . وابتنى اسقف بلد مدرسة خارج المدينة للطلبة الاجئين اليها بعد تركهم مدرسة نصيين اثر مائدة الجاثليق لحنانا ، ومن بين تلاميذ ايشوعياب الجدالي الذي اصبح فيما بعد بطريركا ( ٦٢٨ - ) . ويذكر بأن مسكينا العربي أيضاً كان ردحا من الزمن استاذاً في بلد (١٠٥) .

وشاد يعقوب اللاشومي ، تلميذ ابراهيم الكبير ، ديرا في المرج ( عقرة )

(١٠٣) مخطوطة لندن رقم ١٢١٥٣ .

G. Furlani, Una introduzione alla Logica aristotelica, Rend. Acc.

Naz. dei Lincei V, 25 ( 1916 ) , P. 717 - 718 ; F. Nau, ROC 14

( 1909 ) , 120 - 130 ( Decreti ) .

(١٠٤)

F. Nau, Bar Hadbsabba, Histoire, PO 9, p. 490-630, 23, p. 177-343

(١٠٥) بلد ومنطقة عربايا للاب حنا في ، ترجمة نجيب قاقو . مجلة بين

النهرين ١١ ( ١٩٨٤ ) ، ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .

وباعوث ، وعنايشوع صاحب الالفاظ المبهمة والمحاولة المعجمية الاولى التي قام حنين بن اسحق باستكمالها ، واخذ عنهما سائر المعجمين السريان ، ثم يوحنا الجرمقي والجائليق كوركيس الاول الذي عقد مجمعا عام ٦٧٤/٦٧٦ ، وغيرهم (١٠٦) .

وما رأى سبريشوع الجائليق ( ٥٩٦ - ٦٠٤ ) ضعف دراسة الصبيان في بلاد النبط ، عكس ما في جنديسابور والاحواز ، عمم الكتب والتدريس ، ووضع قوانين للاديرة والمدارس التي تحت ادارة بطيركية المشرق ، كما شمل ثلاثة اديرة واقعة في منطقة سنجانر بانعامات بطيركية خاصة (١٠٦ مكرر) . ومن اهم مدارس كرخ سلوخ ( كركوك ) مدرسة علم فيها دنحا في القرن السادس ، ومن تلاميذه شوحالمارن مطران باسلوخ صاحب كتاب اصول المعرفة ومصنفات نسكية ولاهوتية شتى (١٠٧) .

ولا بد من التنويه بدير زوقين المعروف باسم يوحنا ، وهو بجوار ديار بكر ، فقد انشئ في المائة الرابعة ، وعلم فيه اساتذة مشاهير . بينما يعرف دير قرتمين بدير العمر ودير مار كبريل ( جبرائيل ) في طور عبيدين ، وقد انشئ سنة ٣٩٧ وتخرج منه علماء افاضل . وقام في كورة اظاكية دير اوسيبوتا ودير تلعدا ، صارا مركزين ثقافيين مهمين ، وعلا شأنهما لاسيما بفضل يعقوب الرهاوي ( المتوفى سنة ٧٠٨ ) ، فقد درس هذا في قنشرين والاسكندرية ، واختير اسقفا ، الا انه فضل حياة الزهد والتعليم ، فترك رسائل

(١٠٦) كتاب الرؤساء لتوما المرجي ، تعريب الاب البر ابونا ، الموصل ١٩٦٦ ، وكان قد طبعه بدج مع ترجمة انكليزية .

(١٠٦ مكرر) السنهاودسات ، طبعة شابو ، ص ١٩٦ - ٢٠٧ ، ٤٥٦ - ٤٧٠ ، ونقحه النصرانية لابن الطيب ، ٢ ، ١١٠ ، قانون ٤٧ .

(١٠٧) بومشترك ، ص ١٣٣ .

في مسائل شتى ، وابعاثا كتابية وطقسية ، وتاريخا وقد طبع ، وقصائد ومقالات ، وكتاب هكساميرون منشور (١٠٨) .

وتتبع سروج بمنزلة ثقافية ، يكفينا التنويه يعقوب السروجي المولود نحر سنة ٤٥١ ، فقد درس في الرها ، وقام بترجمة جملة كتب لديودوروس الطرسوسي وتيودوروس المصيبي ، حتى أختير اسقفا على بطنان ، لكنه توفي بعد سنتين من ذلك عام ٥٢١ تاركا زهاء ٧٦٣ قصيدة ، نشر منها بيجان ١٦٥ ، تضمن شروحات كتابية ومواضيع لاهوتية وفلسفية وتصوفية . وله قصة نصر الملك قسطنطين ، واهل الكهف ، ومواعظ شتى ، لنا منها في مخطوط لندن رقم ١٤٥٨٧ ترجع الى سنة ٦٠٦ ، وله نظرية جميلة في الكون متأثرة بنرسى ، اخذ عنها العديد من المؤلفين اللاحقين (١٠٩) .

ونجد في بلاط تيودورة ، سنة ٥٤٣ ، الحارث بن جبلة ملك قبيلة بني غسان التي كانت تحمي الحدود السورية من هجمات الفرس . وقد كان قدومه لطلب اسقفة ، فرسم بطريك الاسكندرية تيودوسيوس ، ( وكان معزولا وموجود بمذالك في القسطنطينية ) شخصا يدعى تيودور اسقفا على بصرى ، السوق الكبرى الواقعة على الحدود السورية ، تمر بها قوافل الحجاز والهند . كما رسم يعقوب البرادعي اسقفا على الرها ليتنقل بين سوريا وآسيا الصغرى

(١٠٨) انزلو المنشور ، ص ١٩ - ٢٠ ، اوربينا ، ص ١٧٧ - ١٨٣ . وانظر تاريخه في : تواريخ سريانية ، ترجمتي ، بغداد ١٩٨٢ ، ص ٤٧ - ٢٠٠ . وبنان التاريخ الزوقيني ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، الهيئة السريانية ، المجلد ٨ ( ١٩٨٤ ) ، ص ٦٣ - ١٣٣ .

(١٠٩) اوربينا ، ص ١٠٤ - ١٠٩ ، وثمة اطروحة للاب بهنام سوني في الانثروبولوجيا لدى يعقوب السروجي ، نشر منها فصلا في مجلة بين النهرين ٨ ( ١٩٨٠ ) ، ص ١٦٧ - ١٨٦ .

ومصر لتنظيم اتباع الكنيسة السريانية الغربية ، فرسم يعقوب ٢٧ اسقفا  
بالإضافة الى كهنة وشمامسة عديدين حتى وفاته عام ٥٧٨ ، وله نافور قداس  
ورسائل (١١٠) .

وقد ألمحنا الى الحيرة ، كبرى المدن العربية على الحدود الفارسية ،  
واتتشار الديارات في اطرافها ، وانتقال المسيحية منها الى اليمامة ، والافلاج ،  
ووادي الدواسر ، ثم الى نجران واليمن . كما انتشرت المسيحية في قطر  
والبحرين . ومن الديارات التي كان فيها مركز اشعاع علمي دير ابن وضاح  
( مار عبدا المعري ) ودير الجرعة أو دير عبدالمسيح بن ببيعة ، ودير مار آبا  
الكبير ، ودير هند الكبرى ، ودير هند الصغرى (١١١) .

ومن مشاهير الخليجيين عهد ذاك جبرائيل الكاتب ، وجبرائيل الاسقف  
اخو تيودور مطران مرو ، وقد كان جبرائيل اسقفا على هرمزد اردشير في  
الاحواز ايام مار آبا الكبير ، ومار عبدا رئيس دير محراق ( ريسا ) في القرن  
الرابع . ومن اساقفة كرخ ليدان ، التي شيدها سابور الثاني ( ٣٥٩ - ٣٧٩ )  
لاسكان الروم ، بولس بن قاعي أحد تلاميذ مدرسة الرها سنة ٤٨٦ . وعام ٤٨٤  
يعقد برصوما مجمعه الكنسي في بيت لافاط ( جنديسابور ) عاصمة خوزستان ،  
مما يدل على اهمية المنطقة . ونلقى نحويا في القرن السادس هو يوسف

(١١٠) اللؤلؤ المنشور ، ص ٢٦٠ - ٢٦٠ . جرجي زيدان ، العرب قبل  
الاسلام ، بيروت ، ص ١٩٩ - ٢٠٣ .

(١١١) محمد سعيد الطريحي ، الديارات والامكنة النصرانية في الكوفة  
وضواحيها ، بيروت ١٩٨١ . بالغ الكاتب في اعطاء دور كبير جدا  
للحيرة ، بل للكوفة ، في نشر المسيحية ( النسطورية ) في المنطقة العربية  
حتى البلدان النائية ، كالهند . وبشان ايضاح شيء من ذلك انظر :  
د. صالح احمد العلي ، امتداد العرب في صدر الاسلام ، بغداد ١٩٨١ ،  
ص ١٦ - ٢٠ . وراجع الهامش ٦٣ .

هوزايا ( الاحوازي ) ، كما يمضي برصوما « العجيب » ، اسقف كرخ ليدان ، وهو غير برصوما مطران نصيين ، بوفادة الى هرقل ملك الروم سنة ٦٣٠ .  
 اما الذي فتح ابواب جنديسابور امام العرب والمسلمين فهو مطران المدينة مار امه ، وقد كان مطرانا على نينوى ، ثم تبوأ كرسي جثلقة المشرق في المداين عام ٦٤٤ او ٦٤٧ . وثمة علماء خليجيون آخرون تطرقنا اليهم في بحث آخر (١١٢) . ولا مناص لنا من التنويه بان آل حنين هم من عباد الحيرة ، وشهير هو دورهم في مجال الترجمة وفتح ابواب المعرفة والثقافة (١١٣) .  
 ولا يسعنا حصر دور المراكز السريانية الثقافية كلها ، ولا الكتب والعلماء الذين قاموا في القرون التي سبقت عصر الحضارة العربية الذهبية ، اذ يقتضي لذلك سفر ضخيم على الرغم من ضياع الاثار بل المعلومات التي في وسعها ان تكشف لنا ملامح ثقافية مغمورة نحن بحاجة اليها . فنحيل من يود التعمق الى المراجع التي تتناول الامر ، وأهمها كتب التاريخ ، والاداب السريانية .

بعض المؤلفين الذين نشروا من النتاج الادبي

كان ميليطون اسقفا على سرده ( ساردس ، عاصمة ليدية في آسيا الصغرى ) نحو سنة ١٧٠ ، وقد سلم لنا منه خطاب احتجاجي تقوه به في حضرة القيصر انطونينوس حثه فيه على الايمان بالله ، ذكره اوسابيوس القيصري في تاريخه كاول نموذج لادب الاحتجاجي (١١٤) .

(١١٢) ملامح خليجية ثقافية ، ص ٢٢ - ٣٥ ، وفي ، جماعات سريانية ، ٢ ، ١٧٧ - ٢١٩ .

(١١٣) بشأن آل حنين انظر : كتاب مهرجان افرام حنين ، القسم الثاني ، وبحوثي : حنين بن اسحق . بغداد ١٩٧٤ ، اسحق بن حنين ، دائرة المعارف ، بادرة فؤاد افرام البستاني ، المجلد ١٢ ، جيش بن الحسن الاعسم ، مجلة المجمع العراقي ، المجلد ٣١ ( ١٩٨٠ ) والنخ .

(١١٤) القسم الرابع ، الفصل ٢٤ . وقد نشر الاب مارتن مقتطفات : P. Martin, in : J. B. Pitra, Analecta sacra, Paris 1883 .

ولقى مارا مطران آمد من محبي العلم ، فانه لما تهي مع اسقف قنسرين الى البتراء ( بطرا ) نحو سنة ٥٢٠ ، صحبه كتابه الاربعة ، فقصد الاسكندرية وجمع خزانة كتب نفسية ، وظل يكتب حتى وفاته سنة ٥٢٩ ، غير ان معظم كتاباته باليونانية (١١٥) .

اما يشوع العمودي ، من رهبان دير زوقين ، فقد كتب سنة ٥٣٥ تاريخ الحروب الفارسية الرومانية للسنوات ٣٦٣ - ٥٠٦ (١١٦) .

ووضع يوحنا الامدي اسقف افسس حياة القديسين المشاركة سنة ٥٦٦ - ٥٦٨ ، وتاريخا كنسيا في ثلاثة اقسام ، لم يسلم منه سوى الثالث وهو يغطي السنوات ٥٧٥ - ٥٨٥ (١١٧) . ولقى ليوحنا فنكايي ، من اواخر القرن السابع . تاريخاً لاهوتياً يمتد من الخلق حتى الفتوحات العربية ، منه عدة مخطوطات (١١٨) . وازدهر بالاي في القرن الخامس ، ورغم اشارة شكوك حول بعض كتاباته ، فان له قصيدة في تكريس كنيسة قنسرين ، واخرى في مدح آقان الاسقف ، وتراويل طقسية وقصة يوسف منظومة (١١٩) . ولنا كتاب وضعه مجهول في اواخر القرن الرابع يحمل عنوان كتاب ( الدرجات ) نشره كموسكو (١٢٠) ، وآخر بعنوان ( مغارة الكنوز ) من مطلع القرن الخامس ، وضعه مؤلف سرياني ايضا كمدخل شعبي الى العهدين القديم والجديد، ولكن

(١١٥) التؤلؤ المنشور ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

(١١٦) اوليري ، ص ١١٨ - ١١٩ ، التؤلؤ المنشور ، ص ٢١٨ - ٢١٩ .

(١١٧) وقد نشره بروكس ، انظر بحثي ، التواريخ السريانية ، مجلة المجمع العلمي العراقي / الهيئة السريانية ، المجلد ٦ ( ١٩٨١ - ١٩٨٢ ) ، ص ٧٠ .

(١١٨) اتواريخ السريانية ، ص ٤٥ - ٤٦ .

(١١٩) مخطوطة لندن رقم ١٤٥٩ ، انظر : اوربينا ص ٩١ - ٩٣ .

(١٢٠) ed. M. Kmosko, PS III, Paris

بشكل قصصي (١٢١) . وكتاب آخر يتضمن ( وصية ابينا آدم ) لعله من الفترة  
عينها ، لنا منه ترجمة حبشية قديمة (١٢٢) . والى السنوات عينها تقريبا ترجع  
( اناشيد سليمان ) ، وهي ٤٢ ترتيله سريانية (١٢٣) .

وينبغي ألا نغفل ذكر اسحق الانطاكي ، من مطلع القرن الرابع ، صاحب  
القصائد العديدة ، منها ( البيغاء ) ، واخرى في ذم الطمع ، وغيرها في صعود  
المسيح ، ومقالات دينية شتى نشرها بيكل وبيجان (١٢٤) .

ومن الاعلام الكبار فيلكسينوس المنبجي ، المتوفى سنة ٥٢٣ ، المولود  
في تحل ( باجرمي ) ، والذي لقب بالغريب ( اخسنايا ) ، فدرس وعلم وكتب  
في دير قرتمين والرها ودير تلعدا ، ورسم اسقفا على منبج ( هيرابوليس ) ،  
وكان شديد المعارضة للنساطرة ، وقد نفي آخر عمره . من كتاباته تفسير اسفار  
العهدين القديم والجديد ، وبحث في التثليث والتجسد يستشهد فيه بمؤلفات  
يونانية مما يدل على انه كان يتقن اليونانية ، ومقالات ضد الخلقيدونيين ،  
وماني ، ومريقيون ، واوطاخي ، وديودورس ، ونسطور . وكتابه النفيس  
ادبيا هو ( سيرة الكمال ) ، كما له نافورتا قداس ورسائل (١٢٥) .

ed. C. Bezold, Die Schatzhöhle, Leipzig 1883 (١٢١)

(١٢٢)

ed. E. Renan, Fragments du livre gnostique, in : JA 2 (1853),  
p. 427 - 471 .

(١٢٣) منها مخطوطة لندن رقم ١٤٥٣٨ نشرها هاريس ومنكنا :

J. R. Harris — A. Mingana, The Odes of Solomon, 2 voll.,  
Manchester 1916 - 1920 .

(١٢٤) منها مخطوطة لندن رقم ١٤٥٩٢ من القرن ٧/٦ ، نشرها بيكل وبيجان:

G. Bickell, S. I. A., opera omnia, 2 partes, Gissae 1873 - 1877 ;

P. Bedjan, Paris 1903 .

(١٢٥) مما سلم من تأليفه مخطوطة لندن رقم ١٧١٩٦ من السنة ٥١١ وفيها

وخير من نختم به هذه الشواهد ساويرا سابوخت ، المتوفى سنة ٦٦٧ .  
ولد في نصيبين ، وترهب في دير قنسرين ، وقضى حياته في تدريس الفلسفة  
واللاهوت والرياضيات والفلك ، وتخرج على يده الكثيرون ، اشهرهم  
البطريك أثناسيوس الثاني ويعقوب الرهاوي . كان يتقن اليونانية والفارسية ،  
بالاضافة الى السريانية . ترجم عن الفارسية شرحا لبولس في عبارة ارسطو ،  
والمقدمة التي عملها لكسرى ، وفسر شيئا من العبارة لايتالاها النينوي ، وفسر  
كذلك بعض قوانين اورغانون ارسطو لشخص اسمه يوءان ، ودبج بحثا في  
الانالوطيقا الاولى سنة ٦٣٨ . وله مؤلف شهير في علم نفلك ، كتب فيه عن  
خسوف القمر وتغيراته ، والاسطرلاب والابراج ، وله مقالة في أساييع  
دانيال ، وفصل في زمن ميلاد المسيح ، وثلاث رسائل في التاريخ (١٢٦) .

### خاتمة المطاف

هذا غيض من فيض ، نظنه كافيا لاطهار حقيقة من دعوا ان للسريانية تراثا  
زاخرا ، متنوعا ، فيه من الاصاله والاقتباس ، والسماط المشتركة والمميزات  
الخاصة معا ، والنقول والتآليف ، فهو ارث زاخر ومهم . تكون منذ القرون

نتف من شرح متى ولوقا ويوحنا ، ومخطوطة لندن رقم ١٤٥٢٤ من  
القرن ٦ في تفسير الكتاب المقدس ، ومخطوطة الفتيكان ١٢٧ من السنة  
٥٦٤ ، و ١٢٨ من السنة ٥٨١ ، ومخطوطة لندن ١٢١٦٤ من القرن  
السادس وجميعها في التثليث والتجسد ، نشرها فاشالد . انظر  
اللؤلؤ المنشور ، ص ٢٢٦ - ٢٣٣ . وقد اعاد مجمع اللغة السريانية  
طبع كتابه في كمال السيرة ، بغداد ١٩٧٨ .

(١٢٦) نلقى ترجمته لشرح بولس في مخطوطة دير السيدة ( الرهبان الكلدان )  
رقم ٥٠ ، وتفسير العبارة لايتالاها في مخطوطة لندن ١٧١٥٦ ، الاوراق  
١ - ١٢ من القرن ٩ ، وكذلك قوانين الاورغانون . ومؤلفه في الفلك  
محفوظ في مخطوطة باريس رقم ٣٤٦ . انظر : اللؤلؤ المنشور ، ص  
٢٨٣ - ٢٨٥ ، اوربيننا ، ص ١٧٥ - ١٧٦ .

الاولى للميلاد وحتى الفتوحات العربية الاسلامية ، بحيث يحق لنا ان نضع تراث السريانية في هذه العهود في مكانة مرموقة في تاريخ الحضارة الانسانية . انه تواصل حضاري ، يستمد أصوله الحققة من المعين الصافي ، تراث المدنية العالمية المشترك ، الذي كان لحضارات وادي الرافدين وحوض البحر المتوسط اكبر الاسهام في تكوينه وانائه ، وهو يرتكز بشكل مباشر على دعائم منطق الفكر والعلم كما عرف الاغريق ان يصوغوا ذلك ، فقدم فكراً متميزاً ، وعلوماً متطورة في قرون قيص نسيانية ان تسود منطقة واسعة جداً ، فتنفحها ، والعالم بأسره ، أنفاس حضارة راقية بأريج سرياني عذب سوف تنسسه العربية فتحوله ربيعاً يجدد المعرفة والعلوم ويثها في أجواء رحبة جداً .







# المراكز السريانية الثقافية

الدكتور يوسف عبي

عضو المجمع العلمي العراقي  
رئيس تحرير مجلة بين النهرين



فرزة من مجلة المجمع العلمي العراقي  
العدد الخاص بهيئة اللغة السريانية  
المجلد التاسع

بغداد

١٩٨٥